

يد الوزير

رواية

www.alkottob.com

أنت تعرفين أنني قاسية على نفسي منغلقة داخل
عالم من القيم الراضة لمتع الحياة.. لمتني مرارا

كنت دائما تعاتبيني على صمتي.. لا أتكلم إلا لكي
لكي أقول القليل.
كنت تقولين إنني حافلة بالمبادرات و لا مبادرة مني

و تضحكين أنذرين و صفك لي بجملة مضادة ؟
ما لا تدركينه يا عزيزتي هو أنني لا أقرر في
شأني.. و لا أختار حتى.. كثيرة هي تصرفاتي
العفوية..
ليس هذا موضوع رسالتي و لكنني أمامك أفجر
.. هل أنت ..

لا تجيبي على هذا السؤال,, أعفك من الرد عليه..
فالرد عليه معاناة أرفضها لك ؟

موضوع رسالتي يا عزيزتي هو أنا.
ستتسمين و أعرف أن أفكارا ما الآن ستعبر
ذهنك..

..

أنا أخاف مني لأنني لا أفهم هواجسي و لا أفهم
.. أخاف من رتابة أيامي.
أتمسك بها.. حتى وقوفي أمام اللوحة أصبح
يرعيني و كلما شرعت أرسم أجد جرأتي تتخلي
عني في النظر إلى عيني شخصيتي.. .
روحا تنفتح فيها . حفيف الأنفاس يخرج من

أضع الفرشاة و أفر إليه ..

ستتسمين مرة ثانية..

هو فلا أرى ابتسامته و لكني أشعر بها.. هل سبق
لك أن شعرت بابتسامة دون أن تريها ؟
يا إلهي !

إياك أن تتصوري أنني أحبه .. أنا أو من به و
أطمئن إليه لأنه يعيد الطمأنينة إلى نفسي بمجرد
ابتسامة أشعر بها و لا أراها..

.. هذه العاطفة المدمرة فلندع الحديث
عنها إلى رسالة لاحقة.

قلت أهرب إليه.. . أرتشف ابتسامته و أعود إلى
بيتي حيث أنتظر شيئا ما أحسه و أجهله..
يتي حتى أفقد علاقتي بالأشياء و
أدخل في بحث مضمن عم أريد..

..

أقف أمام المرأة و أراني أعيش على هامش
الحقيقة.. الآن ستقولين بصوت مسموع..
- قولي شيئاً أيتها الغبية ..
صحيح أن ما كتبتة حتى الآن مجرد كلام أجوف.
تمعنين النظر داخله و لا ترين غير الفراغ لكنه
جسر الذي علي أن أعبره لكي أصل إلى ما أريد
قوله..

و جبانة لأن في حياتي سلمان. أنت تعلمين أنه
دخلها على متن عقد وثقه شاهدا عدل وصمت كان
. كنت كجل النساء أو من أن قدر
المرأة رجل و بيت و أطفال..
أليس جبنا أن تخرجي من ذاتك و تحتمين خلف

و أنا جبانة مرة ثانية لأنني تعلقت أو أعتقد أنني
تعلقت بهذا الرجل الهادئ الذي ما أن يغرس
نظرته الصامته في نظراتي حتى أفقد توازني..
يزيد ..

هذا اسمه .صحيح أنه اسم خرج من التاريخ
و لكن صاحبه كائن و موجود.. مرة ضحك و قال
أنا يزيد الناقص. أنيق في وقفته .هل رأيت سنونو
يخلق؟ أنا أعتقد أنه يمتلك كل الصفات التي يجب
أن تتوفر في الرجل. كلما طلبت منه أن يحدثني
عن نفسه رفض..
دائما وحيد. ككل ذي قيمة ..
كيف عرفت يزيد ؟
هذا السؤال يدور في خلدك الآن ؟

سأشحن غرورك بالرضى. سأرد عليه قبل أن
تطرحيه في رسالتك .
لن أقول إنني أضعت محفظتي و وجدها هو
وأعادها إلي. يكفي أن تري ذلك في
كان كلما أمر من أمامه أشعر بنظراته
تتسلقني و مرة التقت نظراتنا فشعرت بالشحوب
يداهمه و ابتسمت. لا أعتقد أنه رأى ابتسامتي,
من ذلك اليوم لم أعد ملك نفسي.. و تماديت في
اقتحام نظراته و تمادى هو في الشحوب.
لعبة لذيدة.

..
الكلام أراني شخصا غير الذي تصورته ..
ما يثيرني فيه هو أنه لا يرغب في شيء و لذلك
فهو لا يمارس الدهاء للحصول على ما يريد..
ليست لديه رغبات يسعى إلى إرضائها.
ير لقدرة على التجرد من أي شيء ..
أتعرفين شارع الحسن الثاني ؟ حاولي أن تعيديه
إلى ذهنك. أعيدي إلى ذهنك تلك العمارة الزجاجية
الشاهقة. قربها مقهى. اسمه مقهى السقيفة .
رصيفه يجلس يزيد.. ينتظر مروري و أنتظر
شحوبه .. وينصرف ..
ينصرف هو لأجد نفسي فريسة لرغبة مبهمه..
.. أنا أعرف أنك ستضحكين على الرغبة
المبهمه.. ما علينا.
.. أحاول أن أخنقها - أقصد الرغبة .

أنا يا عزيزتي أعيش في جحيم..
الغريب أنني لا أشعر بالذنب و أعتقد أنني على أهبة
لأن أتمادى في الحلم به و معه. و أنا طفلة كنت

روي لنفسي قصصا من صنع خيالي و كنت أحلم
أني بطللة ما أبدعت..
زوجة سلمان وجدنتي أكرر إبداعى القديم بطريقة
.. أمر من أمام المقهى لا لشيء إلا لألعب دور

لم يعد الحلم يكفينى ..
أصبحت ساهمة و لاحظ سلمان ذلك.. و لست
معه لأحس بضيقه و تساؤلاته
التي لم تعلن عن نفسها بعد. أصبحت أتلذذ بالتفكير
في يزيد.. أفتح لخيالى أفاقا معه.. لكنه خلق لينظر
و ليمارس رياضة المشي وليصمت و ليشحب
عندما يرانى..

فيه من الخجل و الأدب ما يكفي ليجعل منه شخصا
.. لا حرارة فيه.. .. فيه من
الحزن ما يكفي ليغرقني بنظراته الجريحة..
أهذي. لعل ما أراه مجرد وهم يرافقتي في حركاتي

..
حكايتي لا تنتهي هنا ..
أتذكرين عامر؟ بالطبع لا .. و ستذكرينه إذا
عادت إلى ذهنك هذه الحكاية ..
الطريق مغلقة.. لا أحد يمر.. رجال الأمن يملئون
جنباتها و يمنعون الراجلين من العبور إلى الجانب
.. آخرون في مدخل الطريق يحولون اتجاه
السيارات و الدراجات إلى طرقا أخرى..
زرابي مبنوثة عند مدخل البناية. شخصيات ترتدي
ميزانيات أسر و... تلقي على معاصمها نظرات
قلقة. كلهم ينتظرونه.. لكنه لم يأت.. رجال

الصحافة بالآلات و أجهزة التسجيل و الأقلام
ينتظرون ..

.. ساعتان. و هم ينتظرون.. كل
الحاضرين كانوا على صفيح ساخن..
شاحنة تفتح الطريق.. أحدث ظهورها رجة..
وقع ؟ المسؤولون عن الأمن يتحدثون جميعا في
أجهزتهم.. لم يفهموا.
. انفتح بابها و نزل عامر. كان يضحك.
انحنى على أول المستقبلين و همس :
- لقد نسيت التظاهرة.. و كان علي أن أحتجز هذه

..
الآن تذكرينه..
و الآن يحضرك
من نوادره الكثير.. .. هو..
هاك هذه الحكاية ..

قلت ذلك الصباح الخريفي سأفطر في المقهى
لأرى يزيد ثم قلت سأصعد إلى البرج الزجاجي
لأقابل مدير مؤسسة للإشهار و أقدم له عرضا قد
يهمه ..

و هذا ما حدث ..
في المقهى قابلت يزيد.. في دقائق أعطاني من
الحنان الصامت زاد يوم كامل.. لا تتبسمي فأنا لا

..
نسيت..
يزيد.. أيهما الماء و أيهما التيمم ؟
سلمان كان سيلحق بي لنذهب معا عند مدير
المؤسسة الدعائية التي ستحتضن معرضا كنت
أعتزم تنظيمه.

في حضرة يزيد نسيت سلمان و نسيت الموعد.
إنها علامات لا تخطئ ..
كانت جميلة لدرجة أنني رغبت في البكاء..
هل تصدقيني إذا قلت إن :
ميعادي مع مدير المؤسسة كان سببا ملفقا لأراه..
عندما رأيته לפני في صمته البليغ و احتضنتني
بنظراته الثرية بالعباء و لم يقل أكثر من كلمتين.

أنت تعرفين أن البرج الزجاجي مليء بالشركات
و فيه شقة واحدة تشغل طابقا بأكمله
يقولون إنها لأحد أعيان البلد يمارس فيها
شهر يارياته.

هذا الأحد الأعيان رأيته بومذاك.. لم أنتبه إلى
الناس الذين كانوا ينتظرون المصعد عندما شرعوا
ينفضون من حولي.. لم يتأهب أحد للصعود
و هذا معناه أن المنتظرين كانوا يعلمون أنه إذا
حضر هو بطل المصعد على الجميع .
ذاك أن الرجل يحتكر المصعد وحده و يرفض أن
يقاسمه أحد من الغوغاء الصعود..
معي سلمان تحت نظرات استغراب الجميع..
الرجل و ظل يتأملني بنظرات لا تقول شيئا..
حرك رأسه و قال..

كبرت لحظتها في الرأي السائد عن الرجل .
في أنه ليس متسلطا أو متجبرا كما تصورته. يكفي
أن أنظر إليه بعين الرضى لأرى مناقبه . لمت
نفسي و كمن أرادت أن تكفر عن ذنب ابتسمت .
ماذا كنت ستفعلين لو كنت مكاني؟ مسؤول

حكومي تفتحين عاداته و برفض أن يرد الصاع
يستحق ابتسامه امتنان . أليست الابتسامه
أضعف الإيمان ؟

ثم حرك رأسه,
- لا شك أنكما تأتيا هذا البرج لأول مرة ..
حرك سلمان رأسه بالإيجاب,
ينتظر الجواب مني أنا ..

ماذا تراك تتصورينه فاعلا ؟

نسيت أن أقول لك أنه كان يدخل سيجارة أمريكية
شقراء و عندما كان يتحدث لم يكلف نفسه عناء
إزالتها من بين شفثيه ..
إلا أنه عندما تقدم نحوي.. عب نفسا عميقا و ترك
دخانها يتسرب إلى أنفي قائلا ..

ثم مد يده إلى وجنتي اليسرى. داعبها بإمعان
- الذنب ليس ذنبك ..
و توقف المصعد في طابق غير الذي نقصد..
معاليه ..

تأهبت للخروج فامتدت يده اليمنى إلى وركي
الأيسر و ربتت عليه بإمعان .
لم أدر كيف وجدتنني خارج المصعد..
أعلم هل الواقف أمامي كان سلمان أم شخصا آخر
.. كان ذهني فارغا إلا منه.. هو ..

يزيد..
ما علينا ..

أتذكرين معاليه و هو يتحدث في التلفزيون متنكرا
في زي عاشق للفضيلة ؟ كل ذلك تلاشى في
لحظة داخل مصعد في حضرة امرأة مجهولة و
رجل خفي.. تصوري أن أنفاسه الحكومية و هي
تمتزج بدخان السجارة الشقراء و تقتحم أنفي بكل

الحديث عنه كان يثير في غثيانا سهل التحديد.
مواجهته محت كل ذلك.. و أنا أهرع خارج
المصعد ساد لدي اعتقاد أني التقيت اليوم بضدي..
و للضد يا عزيزتي فضيلة، فهو يمنحك فرصة
اكتشاف زاوية معتمة فيك.
لقد فاجأني من حيث لا أحتسب و مد يده بثقة
الدكتاتور في نفسه إلى مؤخرتي..
فهل حقدت عليه ؟ ..

قال لي يزيد مرة في إحدى جلساتنا القصيرة
- أحيانا يساعدك الخصم أكثر من الصديق..
لعل هذا ما فعله السيد العزيز

عليك كل هذا ؟ و يأتيني صوتك من سنوات خلت،
لأنني أحب الاستماع.. أنت الآن تجالسين امرأة
بدون قيود.. تجلس إلى دفتر مذكراتها و تكتب

عنك أرفض أن أخفي الجحيم الذي يتفاعل داخلي .
اعذريني إن كنت أتأرجح في القصر و أرتبك في
الإفشاء فقد كنت دائما منتظمة مضبوطة إلا
عواطفي و أحاسيسي.

كم أود أن أعلم هل ما ارتكبه السيد الوزير يثير
لديه إحساسا بالذنب.. هل وقع بفعلته تلك صك
عقابه، أم أن سلطته تقيه حتى من نفسه؟!.. آه لو
أستطيع أن أعرف منه ذلك !
كانت نظرتة باردة و عيناه فارغتين من أي تعبير.
كان صوته الهامس رتيبا خاليا من الغضب و خاليا
من التعاطف و على وجهه ارتسمت ابتسامة
رضى لا يخطئها الحس..

هذا الرجل المسالم الذي لا يكره أحدا و لا يكرهه
أحد لأن ذكاهه الطفل أعفاه من الدخول في متهاتات
تثير الحقد منه أو عليه. فقد انطفأت نظرتة..
كأنني به ابتلع غصته. لم يكن يتوقع يوما أنه
سيواجه امتحانا كهذا. شعرت به يصب على نفسه
حقدا لم يستطع أن يصبه على الرجل الذي زرع
في خياشيم زوجته أنفاسه ممزوجة بالمارلبورو.
ثم تمادت يمناه لتلمس في استفزاز مقصود شيئا
يعتقد أنه ملكه بموجب ورقة وقعها قاض و شاهدا

لم أسمع منه كلمة.. تعد عيناه تجرؤان على
.. لن أقص عليك شيئا مما يدور في
البيت فحدس الأنثى فيك كفيلا بأن يكشف لك عن
..

II

هل ثمة أذ من النفوذ ؟ هل هناك شيء
أكثر نشوة من أن ترى الآخرين يتلعثمون أمامك ..
يرتعشون.. يفقدون توازنهم و ترتبك حبالهم
الصوتية؟؟
هذا ما أعيشه كل يوم و أقل إحساس بفقدانه يثير
في رعبا يعادل رعب فقدان الفحولة .. المرأة التي
امتدت إليها يدي هذا الصباح أمام بعلمها ابتسمت
.. أن يبتسم لك شخص ليس من طينتك لا يثير
فيك أي نشوة. لعلمها ابتسمت خوفا..
إليها يدي كأني بأحاسيسها أصيبت بالشلل.
..

لم أستطع أن أنام ليلة البارحة. لم أكن منشغلا بشيء محدد.. دون ألم كانت صورة المرأة تعود إلى مخيلتي باسمه.. دون ألم كان ظل رجل يراودني. و يذهب النوم..

و هذا الصباح عندما استيقظت أحسست برغبة .. تأملتني جيدا حاولت أن أعد شعيرات رأسي السوداء و بالكاد عثرت على ما يوازي أصابع اليد الواحدة.. عيني اليمنى الزجاجية كانت تعكس صورة امرأة المصعد و .. حاولت أن ابتسم فرأيت الفم امتلا

أنيابا..

ما هذا ؟

أنا الذي لا يربعه أحد أصبحت أرعبي .. وجهي الذي لم أغسله بعد آنذاك كان ركاما من المساحيق. كنت كمهرج في سيرك.. واضح هو أن المهرج يضحك الناس و أنا أرعب

هل كل هذا بسبب امرأة ابتسمت ثم اختفت ابتسامتها ثم غادرت المصعد هي و زوجها وكأنهما ضربا على أم رأسيهما. ئ يزيح عني هذا الإحساس الغريب.. تحت الماء كنت أفكر.. ..

كيف أتخلص من هذه اليد التي تعتصرني من الداخل.. أعلم بالتجربة أن أهم مكسب لرجل في ضيق هو التمسك بأعصابه هادئة.. الهادئة يمكن للمرء أن يعتمد دون خوف.

تمسك بأعصابي باردة .. فبدأت
زخات الماء الآتية من الرشاش ترشقتني كالإبر..
مزيدا من الهدوء أيها الوزير !
و هربت ..

.. هربت من الحمام. هربت من المرأة..
العطر الذي كنت أعتقده يضيف إلى جاذبيتي

كل ذلك بسبب ابتسامة ظهرت ثم اختفت ..
و أنا الذي لا أعرف الوحدة رأيتني أسعى إليها..
الذي يتعب الآخرون من أجل راحتي وجدتي
مرهقا أولا.. و أرفض هذا الإرهاق ثانيا..
ترفض الإرهاق لذلك توفر لرجلها كل وسائل
الراحة و الحرية.. الحرية ! لا توفرها لك سوى
السلطة.. كلما كنت ذا نفوذ استطعت
تشاء متى و أينما و أنى تشاء ..

- اذهب بي إلى أي مكان إلا إلى المكتب

- اذهب بي إلى مكان لا أعرفه أنا و تعرفه أنت ..
كبرت حيرته.. لم يجب .. امتطى السيارة ثم
وجدتها ..

- هل تريد سيدي أن ترى الحي المحمدي معقل
الكفاح الذي تتحدث عنه كثيرا في خطبك ؟
قلت له :

- كيف تراني ؟

- كعادتك يا سيدي. في كامل عافيتك .

- كيف ترى أسناني ؟

- جميلة يا سيدي .. أليست من صنع أمهر أطباء
الأسنان في باريس
قلت له :

- إنها أنياب ..

.. :

:

- ني يا سيدي

- قلت إنها أنياب

- فيها الأنياب يا سيدي

- بل كلها أنياب ..

- كلها أنياب يا سيدي ..

- هذيان .. أليس كذلك ؟ خذني إلى النهر

- لا يوجد نهر في الدار البيضاء

- خذني إلى أي نهر في أي مكان ..

- أم الربيع يا سيدي .. لكنه في أزموور لا في الدار

البيضاء ثم إنه شبه جاف ..

- هذيان .. أليس كذلك ؟

و هذيان ما سمعت و السائق ينتظر أن أعطيه أمرا

. كان الصوت مدويا هادرا. لم يأت من

.. من بين الصلب و الترائب جاء ؟ لست

- يا فقير النفس !

.. ..

- لا يا سيدي . لم أسمع شيئا

:

- ألم تسمع هذا المعتوه الذي يقول عني فقير النفس؟ أليس معتوها و ابن معتوه !

:

- بلى يا سيدي إنه معتوه و ابن معتوه ..
هذا السائق لم يسمع شيئا. لم يكن يهزأ بي.
فقط يمارس خوفه المعتاد مني.
ثم أشرت له بالذهاب إلى مكان يعرفه جيدا,
شعرت بصعدائه و هو يتنفسها كلمات تخزني كماء
هذا الصباح..

/البالاس أن يسارع
إلى تغيير غطاء المائدة التي أختارها ..
مائدتي أحمر أولا.. و لا يستعمله غيري ثانيا.
هو من الحرير ثالثا.. ومن عادة النادل أن يذهب
بنفسه إلى مكان ما و أن يعد لي هو لا غيره
جرعاتي وفق طقوس هو يعرفها و يدعني..
وينصرف.. ينصرف معناه أن يحول دون جلوس
أي زبون في المنطقة التي أوجد بها.
فهل سأستريح هذه المرة؟

ظلت تحديق في و ترسم على سحنتها شيئا
لا ينقصها إلا الظل لتصبح امرأة

و مع أنني لم أتبين جيدا امرأة المصعد..
صادفتها في أي مكان لن أتعرف عليها. رأيتها
نسخة من هذه الابتسامة الغامضة التي تحدث عنها
الكثيرون و كثرت التحليلات و التعاليق و ظلت
هي ثابتة..

رأيت الظل يخرج من خلف اللوحة و يتقدم نحوى.
يقف

يأتيني صوت كالصوت و لكنه ليس صوتا ..
- أعرفتني يا فلان ؟
حاولت أن أتبين ملامحه دون جدوى .. لم
بالدم يتصاعد إلى وجنتي .. سألت بصوت أجش ..

- من أنت ؟ و ماذا تريد ؟

صوت كالصوت و لكنه ليس صوتا يرد :
- ألا تعرف من أنا ؟ ما علينا .. اعلم أيها العبد أنك
حتى الآن ظللت تفعل ما تشتهي و تدع الآخرين
يقولون ما يشتهون .. أنت لست سوى بيدق
.. تحسب نفسك ذئبا و أنت أقل
ضعفا من حمل .. إذا كنت قويا فحاول أن تهرب
.. سأظل أطارذك في غدوك و رواحك ..
.. .. الغث له قيمة ..
.. " اذهب إلى حال سبيلك "
لاهئا وقف النادل أمامي .. لم ير أحدا ..

الجو كندا فإذا بها هي هي .. لا تتبدل و لا تتغير ..
حاولت النهوض فوجدت أمامي سكرتيري
, كأنه خرج من خلف اللوحة .
- عفوا سيدي .. برنامجك حافل هذا اليوم
و مجموعة من الأعيان جاءت وفق الميعاد
المضروب لها ..
و تدخل الصوت الذي هو كالصوت و لكنه ليس

- اذهب إلى عملك .. بعد عملك عد إلى المقصف
و اشرب إلى أن تفقد وعيك. بها الطريقة الوحيدة
.. مع أنك ستجدني نقطة في جدول
أعمالك و في آخر نقطة في آخر كاس تذهب
بوعيك.. أنا أيها الوزير المحترم عقوبتك التي لم
يجرؤ على إنزالها بك قاض.. اذهب وصاحب
الأجانب و الغرباء فلا خطر يتهددك منهم..

- !

اندهش السكرتير و أضاف وجلا

- أتريد أن ألغي كل ارتباطاتك؟

قلت له :

- لم أكن أخاطبك أنت هيا بنا ..

أه لو تكلمت نظرته !..

فكرت أن أحسن حل هو أن أذهب إلى برنامجي و
أن أنفذه فرضا و نوافل حتى أتخلص من هذا
الدخيل الذي نجح في ما لم ينجح فيه آخرون ..

..
لا تقف عند الإشارات الحمراء و لا عند علامات

..

هل تضحك الظلال؟

هل تفهقه الأصوات الغائبة؟

"حذار أيها السيد العبد المطاع المطيع من
أن تجلس وحيدا .لأنك شئت أم أبيت ستدعوني
إليك.. أنجز عملك بكل ما أوتيت من كفاءة ..
إلى اجتماعات لا طائل من ورائها..
أعمال لا تتجاوز الحبر على الورق..
لا تبرح مكتبك . . اشتغل.

إذا اشتغل دماغك ستجدني فيه.."
يضحك ..

هل تضحك الظلال ؟

الجوكندا بابتسامتها الشامتة تحدد في..
عيني الزجاجية.. تتحرك بنفس سرعة السيارة.
تتجاهل علامات المرور.

:"و الآن أيها العبد.. دع جحيمك يختفي داخلك و
أعلن على الآخرين أنك تعيش في النعيم.. كررها
لمن سيتفاوض معك و كررها لكاميرات الإعلام و
كررها لأقلام ا .."

.. قل لهم أن
يستعدوا للقائي.. ها قد جئت.. ذكرني بموضوع
.. تذكرت إنهم الأعيان..

.. أمام المرأة أردت أن أرى فرأيت
الأنياب. رأيت العين الزجاجية تعكسني.
مني قط مثل هذه اللحظة. ها هي
تخيفني.. و جاء الصوت اللاصوت..
! إنه يأتي من خلف طبلة الأذن..
كالطنين. هل يستطيع أحد أن يصم أذنيه عن
طنينهما؟

جحيمك داخلك و أعلن على الملأ أنك تعيش في

تركت جحيمي داخلي و ركضت إلى قاعة
الاجتماعات أعلن لهم أنني أعيش و انهم يعيشون
في نعيم ..

قلت لهم:

- ماذا يتمنى المرء في هذه الدنيا أكثر من أن يجد
الجميع يحنون عندما يمر.. ينصتون عندما يقول..
لا يعرف الحواجز و لا الموانع .. مباح له ما لا
يباح للغير.. مستحب له ما هو مكروه للغير..
عليه ما هو حرام على الغير.
ماذا يتمنى "

توقفت عن القول و صفقوا.. لا يملكون إلا أن
يصفقوا ..

لم أعد أدري لم دعوتهم ..
صمتت قليلا أبحث في ذهني عن موضوع اللقاء
غفوا لحظة صمتي بتصفيقات إضافية..

تصفيقات إضافية أخرى ..
و قلت لهم انصرفوا و لا تنسوا أنكم الأعلون ..
وانصرفوا كلهم.

لصوت سوطا يلعلع داخلي

..
- .. أريد أن أغيب عن هذا السوط

III

عزيزي سلمان ..
قرأت رسالتك. و دعني أقل لك إنها
أعطتني الرغبة في القتل.. إلا أن دافيدوف يرى
. أتذكر دافيدوف ؟ لا شك أنك تذكره ..
جعلك تحب نشيد الإنشاد و هو يلقيه عليك بفرنسية
لا لكنة فيها.. و كنت تقول له : هذا دليل على أن

..

ما علينا ..
دافيدوف قال إن معالي الوزير لم يخرج من ذاته
بعد ثم ضحك و قال كيف تتصور وزيراً سجين
ذاته, يخرج شاهراً على الناس قراراته و سلطته ثم
ضحك أكثر و قال إنه لن يستطيع أن يفعل أكثر من
أن يمد يده إلى مؤخرة .. ثم صمت..

..

قل لسلمان إن أيادي تمتد برضى و مباركة معاليه
إلى حرمه و لا يجرو أن يكبت ابتسامته.. إياك يا

لكني أعرفك جيدا. ستقول إن ذاك شأنه.
يكفي أن يحترم شعورك أنت و ليفعل به الآخرون
ما يشاءون ..
و أنا أعرفك جيدا و أتصور حالك و عيناك
تهربان من عيني زوجتك..
توليها ظهرك.. أتصور وزن الصمت و هو يرين
عليكما و أتصور هروبها إلى لوحاتها حتى لا
. جرحك يا صديقي عميق.

و معاليه أمي، نه لا يعرف أن إهانة رجل هي
أقبح من كبتة هو.. لا يعرف أنه أفقدك الإيمان
بمحيطك و بالهواء الذي تتنفسه..
أتدري ماذا قال دافيدوف ؟

قال قل لسلمان فكر جيدا ثم قرر ثم التزم بما
قررت حتى النهاية. قل لسلمان أن يتوقف عن
. فالشكوى لغير الله مذلة.. قل له أن يحا
ما يريد فعله و أن يتحمل مسؤولية قراراته.. قل له
حاول أن تقرأ ما يدور في خلد زوجتك التي لا
يبدو عليها ارتباك.. و لا تبدي غضبا و لا تقززا
.. لأنها تدرك الجحيم الذي حشرتك فيه يد
الوزير.

قل له إنك مظلوم لأنك ابن الشعب،
الغوغاء كما يقولون أو من الأكباش كما جاء على
لسان بعضهم.
و عليك أن تخوض معركتك بنفسك..

.. لا لم يقل شيئاً.
ورأيت دمعة تطل من عينه اليسرى.

تألّمت لحيرتك و حزنك. أعلم أن الإنسان يستطيع
أن يتخلص من حزنه إذا فضفض و أفرغ ما في
قلبه. نك يتوالد.. ينمو بمجرد ما
تراها.. و أفهم رغبتك في القتل.

أحيانا أتحمس لفكرتك في تقصي أخبار معاليه في
ركضك خلفه كصياد وراء فريسة..
عندما يروج في ذهني أن الصياد قد يصبح
الفريسة..
هل تستطيع يا عزيزي مواجهة وزير ؟

و لكنك تستطيع أن تبحث بكل إصرارك الهادف
.. تستطيع أن تستعيد هدوءك و
إذا نجحت في ذلك فأنت حتما تستطيع أن تفكر.

أفهم إحساسك بالوحدة و كأن العالم انفض من
حولك و تركك تواجه شخصا لا يشعر حتى بمجرد
. أفهم رغبتك الجديدة في الدخول إلى حلبة
صراع أنت تعي تماما أن القوى فيه غير متكافئة.
حتى رائحة الدخان الذي نفثه في أنفها تخنقك

.. و لأنك ترفض أن
تتألم يصبح الألم أليمن, لذلك لا تستطيع أن تفكر..

أريد أن أسدي لك نصيحة تخرجك من شرقة الهم
التي تحكم الطوق حولك, فأجدني أدخل الشرقة

غريب هذا العالم ..

كيف يقبل أن يضم أناسا لكي يعيشوا, لا يجدون بدا
من حرمان الآخرين من العيش..
صاحبك فقير النفس.. فهل تريد أن تكون أفقر منه

هو محتاج لأن يجرب نفوذه كل يوم, يريد أن
يراجع مدى قوته.. و ذلك دليل على ضعفه الفسيح.
أقول هذا يا عزيزي و أجهل كيف أنتشك من
.. لقد كنت بليغا عندما قلت إنك أصبحت الألم

أحيانا أجدني أميل إلى دعوتك إلى التوقف عن
التفكير في رد الفعل.. فأنت لا تستطيع أن تثبت
شيئا.. و لا تستطيع أن تفعل شيئا..

و أحيانا أجدني أرفض أن تستسلم لهذه الصدفة
. أعرف أن ليالك أصبح

غير الليل.. أعرف أن السماء فوقك غير السماء
فوقنا.. أعرف يا صديقي أن المدينة لم تعد هي
المدينة و أن أوصفتها فقدت نكهتها القديمة..
أعرف أن زوجتك لم تعد زوجتك التي
وعاشرت حتى يوم المصعد.

أعرف أنك تبحث عن مرفأ .. عن سماء غير
السماء و عن هواء آخر.

أعرف أن حظك العاثر رمى بك أمام ديك خصي
من تلك الفصيلة التي تنفث ريشها في المهرجانات

..

. عن شخصيتك التي
افتقدتها أمام هذا القناع.
يمكن أن يكون أديا. أعرف أن حبل الطغيان
قصير..
فاياك أن تتخاذل.. إياك أن تتحني.. أعط لكرامتك
كل لحظات حياتك..
اقرأ كثيرا. إياك أن تضحك بمرارة اليأس.
. اقرأ حياة غاندي مثلا..
الذين يعرفون كيف يرفضون الرضوخ و سترى
كيف سيبزغ الفجر من بين الكلمات.. اقرأ حياة
الزهاد و المساكين و المتصوفة..
..
ثم اعلم أن الله لن يجمع عليك الحشف و سوء
الكيل. لا أستطيع أن أقول أكثر..
..

أسعى إلى الحرية و أجدني عبدا لعادا ..
تناول قهوة الظهيرة مثلا في نفس المكان..
بخديجة في نفس الوقت بنفس المكان..
و خديجة عندما تقبل نحوي تختزل العالم و الناس
.. أشعر بنشوة هي غير نشوة

خديجة لا أراها بل أشعر بها.. لا تقول و أسمعها.
كم جلسنا صامتين في حديث شائق.. إنها نفحة من

قال لي مرة صديق قديم.. لست أدري لماذا..
. لم أزد عليه. فدخل في حديث طويل
عريض يحلل نفسي. ثم سألني عن رأيي في
تحليله.. أجبت أنه لم يفهم شيئا..

.. ضحكت على هذا الماركسي العاشق
المقدس و الذي لا يتوقف عن ترديد نشيد
.. أنا ضحكت.. و هو قال بأني أرفض أن

..
لم يفهم كنهه علاقتي بخديجة. و كل من يرانا يذهب
به تفكيره إلى المتعارف عليه. لا أحد يفهم أنها لا
تأخذ مني شيئاً و أني لا أخذ منها شيئاً و أن ما
نتقاسمه هو اللحظة بقولها و صمتها..
لذلك لم أدخل قط في مناقشة هذه العلاقة معه
خديجة حكّت لي باقتضاب شديد ما جرى لها مع
الوزير.. هل هي التي قالت، أم أنا الذي قلت
ساعتها.

..
- لقد أذى نفسه الرجل
ثم جاء الحديث عن سلمان.. لعلها هي التي قالت
- .. سلمان الآن جريح و ثمة خطورته.. إن اليد
التي امتدت إلى كانت سوطاً نزل عليه و مزق
عضلاته و كشف عن اللحم ..

..
- لقد أذى الرجل نفسه ..
خديجة لا تعلم أنها من طينة مختلفة. قالت إنها
لحظة امتداد اليد إليها دخلت في فراغ مطلق.
تفهم. قالت إنها لا تحقد على الرجل و لم تفهم..
لم تفهم كما لا تدرك النحلة أنها تنتج العسل.
قالت في آخر حديثها ..
- لعل ما حدث هذا الصباح سيكون منعطفاً في
حياة معاليه..
و لو كان معنا دافيدوف لقال عن الرجل وحشاً.
ذلك أنه كان دائماً يردد أن الرجل وحش.

يرى الأشياء العادية بعين مختلفة.. هو يكره
الناس الهادئين الذين لا يرتعبون من ذكر اسمه
ولا يرتعشون لحضوره.. إن أفسى لعنة توجهها له
هو أن تتمسك بهدوئك أمام طغيانه.

فهل هذا صحيح؟

هناك شيء في داخلي يقول لي إن الرجل دخل
مرحلة معاناة ليس مصدرها الحكم أو الزعامة أو

..

م له و أطلب له الهداية.
.. و لكن شيئاً في داخلي يقول إنه
سيراني دون أن يراني و سيسمعني دون أن
يسمعني و سيود لو أنه استطاع أن يسلط علي
زبانيته..

..

قالت خديجة ..

- لم تقل لي شيئاً يا يزيد.. و مع ذلك أنا مقتنعة

نها أدركت ..

هذا ما يشدني إلى خديجة.. لو حكيت لدافيدوف
مثلاً حكايتي معها لكان عصياً عليه أن يصدق..
تلتق عيني قط بعينيها .. لا أستطيع أن أصف
ملامحها..

لا أستطيع أن أحدد قامتها و لا أن أذكر عن أنوثتها
شيئاً..

إنني أحس بوجودها أمامي.. بحديثها إلي.. أشعر
واتها الآتية نحوي.. أحس بنبض قلبها..
على الإدراك ما أقول.. و لذلك فلن أقوله لغير

..

أدركت أيضا أنها أدركت عندما قالت ..
الذي قلت إن الوقوف ضد شخص من فصيلة
الوزير أمر عسير على أمثالنا فهل نستطيع أن
نتحكم عن بعد في قوته و نوجهها إلى حيث نريد.
ثم سمعت صوتا يقول ..

"سيرى العالم مختلفا.. سيدخل في عملية
تطهير أشد إحراقا من النار .. و قد يذهب به الأمر
إلى انتظار الموت كمن ينتظر لحظة فرح .."

كان المقهى يضح بالحضور و كنا وحيدين..
صوت الآلة و هي تسحق حبوب القهوة يقتحم
حولنا كان سكون يلغي صوت الآلة

..

و كأننا قلنا الكثير ..
و شعرت بوقفة خديجة. أحسست بخطواتها تبتعد..
ذهبت ..
بدا لي أنها خرجت من المقهى بدماع رجل أعمال
و عضلات ملاكم و هدوء حكيم.. لعلها هي التي
قررت أن تدع معالي الوزير يهدر طاقاته
يقر بهزيمته و لعلي أنا الذي فكرت أننا جبل و أن
الرجل بجبروته لا يملك فأسا ..

و عدت إلى بيتي و قررت أن أرتاح ..

إنه ذاك النوع من التعب الذي يأتي بعد جهد جهيد
توقفت عن التفكير.

..

و رأيت في ما يراه النائم ..
أيت للرجل عينا زجاجية لا تعكس سوى
رأيت له أنيابا تملأ الفم.. رأيت يتصعب
رأيت له قوة قاتلة و هيجانا مدمرا لكنه لا
يعرف أين يوجه قوته و هيجانه..
رأيت الرجل يحدق في أنيابه في المرأة .. ثم رأيت
و الحضور يحدقون فيه داخل قاعة فسيحة
يستمعون إلى ما يقول و يتساءلون لم يقول ذلك..
و هل من أجل حديث كهذا ندعى إلى اجتماع.
رأيتهم يصفقون على مضض..
ثم رأيت يدخل حانة الفندق و يغرق نفسه في
محاولة للنسيان..
و عندما فتحت عيني رأيت.. لست أدري أين كنت
و لا أين كان و لا أين كنا و لكني رأيت ينظر في
الفراغ و كأنه يحدث شبحا.. يتهدد.. يتوعد.. يتنهد..
يمسك رأسه بكفتي يديه و يصرخ..
ثم رأيت وزيرا يصرخ
و رأيت يكرر صراخه ثم ..
رأيت يندس في فراش و ينام. لا أستطيع أن أحدد
.. و لا أستطيع أن أقول كيف حضر
.. و لا من أين ..
لا أستطيع أن أقول أين كنت إذ
..
و مع ذلك كنت يقظاً .

تضطجع. تشاهد الأخبار. غير بعيد.
زوجها يشاهد الأخبار بدوره.
تدرك تجد نفسها تلتفت.. يراه و دون أن يدرك يجد
نفسه يلتفت..
إليه تلتفت.
إليها يلتفت.

نظرة بالنظرة و يخرس اللسان.. يخرس
اللسان و يبدو حديث تحس به . يحس به.
لعلها تقول له.. ها هو رأيته؟ ماذا فعلت يا
رجلي و حامي كبريائي.. لعلها تقول له.. انس هذا
الموضوع فالعين لا تعلق عن الحاجب.. لعلها تقول
له أين فحولتك؟ إنها تذهب هباء تنثره يد معاليه..
لعلها تقوله له ..

لعله يقول لها لم تلتفتين إلي.. ماذا تريدين مني أن أفعل؟ ألم تكوني أنت البادئة؟ ألم تبتسمي له و كأنك توجهين دعوة إلى دخانه ليقتحم خياشيمك .. و إلى يده لتجرؤ و تمتد إليك أمامي؟

لعلها تقول له لو كنت أنا الرجل لطرقت كل الأبواب لفضحه .. لعله يقول لها ..

للأبواب أيتها الغبية؟ يا عالم هذا الرجل ربت على مؤخرة زوجتي؟ أيعقل هذا ..

لعلها تقول له .. ستجد طريقة تعيد بها شرفك المهذور. . ابحث يا بعلي العزيز.

لعلها تسكت.. لعله يتوقف بدوره عن توجيه الخطاب إليها بينما الوزير يوجه إليه ..

تصوروا خطاب الوزير.. في اعتقادكم ماذا سيقول وزير في التلفزيون عدا أنه سعيد بالإنجازات التي و أن ما

أنجزه هذا البلد في خمس و عشرين سنة يتجاوز ما .. و هو سعيد لأن البلد بلد حرية واحترام لحقوقك أيها الإ ..

يحس بطعنة و يكتم صرخة.. ترغب في إطفاء التلفزيون .. يرغب في إطفائه. . لا يجرؤ.

تنحشر داخل الأريكة. ينحشر بدوره داخل الأريكة و تمعن التلفزة في إظهار الوزير. تتفنن الكاميرا في أخذ لقطات له من اللقطة الأمريكية إلى اللقطة القريبة إلى اللقطة القريبة جدا إلى اللقطة العامة إلى المتوسطة إلى الأمريكية فيصرخ سلمان ..

! تلتفت إليه و تهمس ..

و تعتدل في جلستها. تنهض.

يتنفس الصعداء و يهمس :

ينتصب الرجل.. يشعر بوطأة النوم فينساق لها و في لحظة يتناهى إليها شخيره.. تنظر إليه طويلا و تنسحب إلى غرفة النوم.. تحشر نفسها تحت . فهل ستنام ؟

و هل نام هو ؟ أم أن التعب يفعل فعلته.. يعبث بالرجل. و عندما يتناهى إلى سمعه رنين جرس المنبه. يفتح عينيه أكثر تعباً

عليه أن ينهض.. أن يحشر نفسه تحت الرشاش. يقف أمام المرأة.. أن يسوي ربطة العنق. أن يخرج من البيت. أن يصل إلى عمله في الميعاد. ويصل إلى مقر عمله قبل الميعاد..

لا تزال المكاتب فارغة و الأجهزة صامتة. هدوء المكان أحيانا يزعجه.. زميل جاء قبله يتأمل ن جريدة باللغة الفرنسية.

في المؤسسة لا يقرأ غير جرائد الفرنسية. يقترب من زميله و يلقي عليه تحية الصباح ثم يزحف بصره على الصفحة الأولى ويرى صورة صاحبه تبتلع الربع الأيمن منها.. يعلوه ارتباك.. حركة لسانه تتوقف و كأنها أمام ضوء أحمر .

لم يلاحظ الزميل شيئاً. مشغول بالصورة ..دون أن يرفع بصره عنها يقول :

- كم أود لو كنت رجل تازة لأرسم علامة بمنجل
على ردفه الأيمن حتى يعلم أننا لسنا دمي في هذه

لهذه الجملة قدرة الفعل.. كأن يدا امتدت إلى العباء
الجاتم على كتفيه و أزاحته ..
يبتسم لصاحبه ..
يضيف الزميل

-
يرد

-
يتابع الزميل :

- التفكير في رسم بصمة على جسد هذا الرجل
أصبح إحدى هواياتي.. تصور أنني أجمع عنه ما
أستطيع التوصل إليه من معلومات. و من السهل
اقتناصه في مكان ما لأنه يعتقد أنه في مأمن من

- لكنه ليس في مأمن من نفسه

- صحيح ..

يرد الزميل ..

- و لو وجدت من يساعدني لقلت له كلمتين
ولداعبت مؤخرته بمنجل و لتأت الموت إذا شاءت.
لعل لهذا الرجل حكاية مع معاليه. لعله أوقع به
إهانة غيرت إيقاع حياته و جعلته يكون ملفا عنه
ويسعى إلى الإيقاع به ..

ترى ما هي حكاية هذا الزميل ؟

يحاول أن يطرح السؤال فيفضل الصمت ..

يأتي أوان الفرح ستطل الحقيقة من تلقاء ذاتها .

لا يدري كيف وجد نفسه يقول :

- هذه المرة يرفع الزميل بصره.. يقرأ في نظرة زميله شيئاً يفوق الرغبة.. و يرد :

- هل أعتبر هذا عهداً بيننا ؟

يمد الزميل لزميله يده. يشد عليها بحرارة قبل أن يضيف..

- شريطة أن لا تسألني عن سبب هذا الحقد الخصب يتابع الآخر

- و شريطة ألا تسألني بدورك

يومئذ معا .. يطمئنان معا.. يقولان معا

- هو عهد بيننا ..

يقراءن معا الفاتحة ..

"و لا الضالين أمين .."

.. كالوردة تزهر دون لماذا

.. فقط تزهر لأنها تزهر ..

- سنذهب لنشتري المنجل. إذا سمحت سأحتفظ به

في بيتي. و في اليوم الموعود سنذهب معا..

ينصت سلمان .. يتابع زميله ..

- تعود الرجل أن يشرب نخب دونكيخوتياته في

.. بين الفينة و الأخرى يذهب

. لعله مصاب بداء السكري ..

يقاطع سلمان زميله

- إنه مرضهم جميعاً

يتابع الرجل

- هذا المرض عميلنا في هذه العملية.. يكفي أن

تتأكد من خلو المرحاض من غير معاليه.

عليه خلوته بنفسه, أن ترسم العلامة على مؤخرته..

- هذا يتطلب محترفين.. السرعة الفائقة في

- ما يهم هو خلو المكان .. البقية سهلة.. فمعالیه لا يستطيع أن يقول للعالم أننا تركنا على مؤخرته عاقبة سلوكه تجاه من يسميهم بالغوغاء..

- هذه هي الخطة في شكلها الأول ..

تحتاج إلى مزيد من التفكير. إلى مزيد من التمحيص.. و منا إلى تدريب, لا يمكن أن نقوم بذلك بنجاح منذ الوهلة الأولى.

نظر إليه الصديق طويلا دون أن يحرك ساكنا .

خديجة تعرج كعادتها على المقهى. هناك يزيد
ينهض و هي تقبل نحوه. تمد يدها إليه. يمد يده
يمسك اليد برقة و يحملها إلى شفتيه..
- الناس يرون ..
يجلس يزيد ..

حدثيني يا خديجة. . بل دعيني أحدثك
. أنا أقرأ في عينيك شيئاً كالبياض..
.. لقد نسيت اليد الذي امتدت إليك. و نسيت
صاحب اليد.. فقط يؤرقك سلمان. كلميه يا خديجة
.. دعيه يتكلم. صمته عدوه الأول. حرصيه على
أن يفتح لك قلبه على مصراعيه.. قد يكون الآن
يفكر في القتل و يمكن له أن يتخلص من هذه

الفكرة بمجرد ما تخرج من عقالها و يتحرر من
وطأتها..
أعيدي إليه هدوءه و برودة أعصابه.
. رأسمال يمكن الاعتماد عليه في

تطلب خديجة قهوة ..
- إنه لا يتكلم كثيرا.. كأنه تلقى ضربة على رأسه.
يذهب و يجيء أمامي نصف نائم..
يزم يزيد شفثيه
- أخشى أن يسعى إلى السقوط.. لأن السقوط أسهل
من الوقوف على قدمين ترتعشان من الغيظ أو من

يرتشف من قهوته.. و يدخل في شبه غيبوبة يقظي
- اذهبي الآن يا خديجة ..
و يتابع بصوت غائب
- متعب يا خديجة و كأن ما قلته لك كلفني جهدا لا
يطاق.. لربما جاء نتيجة تفكير ..
.. ما أنكره هو أن
ته كان أعمق من التفكير.

و الآن اذهبي ..
لم ينهض هذه المرة. لم يأخذ يدها بين يديه و لم
يطبع عليها قبلته الهادئة.
.. تشعر و كأنها دخلت في
مرحلة تأمل طويلة المدى.. شيء في داخلها يقول
لها ابحتي عن نبع و اشربي حتى الارتواء ..
طريقها دون أن تعلم أنها تقف أمام المصعد..
تنتظر دورها. تدخل المصعد و تدعه يصعد. تدعه
ينزل.. تدعه يصعد.. تدعه ينزل..

تجد نفسها في البيت تفتح الثلجة و تغرق معدتها

يا إلهي ! ارحمني من هذا الخواء.. ألهمني
أي شيء أعيد به بيتي إلى سالف عهده..
قناعتها بأن لا شيء يعود إلى سالف عهده و إلا ما
؟ يا إلهي ! مالي أشعر أن حالة
الحزن هي القاعدة و أن المرح هو الاستثناء ..
لي أشعر أنني سأؤدي ثمن كل ابتسامة صدرت
!

و هذا اليزيد الذي أنشد إليه دون أن أدرك لماذا..
أحتاج إلى الكلام في حضرته لأشعر بأني
لست وحيدة..

و هذا الرجل القوي الذي ولد هكذا بميل فاحش إلى
كل ما هو قدر..

.. التي لم أعد أفهمني .. أعيد النظر في نفسي
كل يوم و أركض كل يوم خلف قدري المجهول
لأدرك في نهاية المطاف أنني خلف سراب أركض
أريد أن أخرج من هذه الشرنقة. أريد أن تكون
لعلامتي علامة و أن يكون لمكاني مكان. هناك
شيء يقودني إلى أن لا أحزن على مفقود..

قال لي يزيد ذات مرة قد يتوب الرجل من
بعد ظلمه. قد يندم على ما عمل. قد يعزم على عدم
العودة إلى ما يقترفه الآن. و قد يأتي ذلك بعد فوات
.. و هذا .. إنني أرى اليد الذي
امتدت إليك عضوا زائدا عاجزا عن رفع اللقمة
.. إنني أرى الفم الذي نفت دخان السجارة
في أنفك قد شل نصفه الأيسر و اللسان الذي نطق

و قال ما قال يومذاك عاجزا عن التعبير عن ندمه..
و أرى في العين نظرة حيوان جريح..

- هذا الرجل لا يعلم أنه وقع بفعلته تلك
صك عقابه و سترين..
ثم صمت قليلا و نظر إلي مبتسما و سأل :
- هل كنت أقول شيئا ؟
لم أفهم. حكيت له ما قال.. فهمهم كلاما لم
أفهم منه شيئا و نهض من مكانه و انصرف دون
أن يودعني..
سألته في اللقاء الموالي عن ما صدر منه يومذاك
فرد أنه لا يذكر شيئا..
بهذا الغموض يفتنني الرجل ..

مقهى السقيفة

رصيف. و قهوة سوداء. و دافيدوف و
حلیم.. حلیم أتذكرونه؟
إنه الصديق الذي رد على رسالة سالم في الفصل
الثالث من هذه الرواية.. صحيح أن اسمه لم يرد
.. هنا استدراك ..
حلیم يفكر. دافيدوف إلى جانبه يفكر.. حلیم يكسر

- يجب أن يعلم هؤلاء أن في هذا البلد من يرفض
طاووسيتهم
دافيدوف يرد ..
- لقد قلنا ذلك مرارا.. أعطنا أيها الحلیم حلا
عمليا.. .. هناك شاعر عربي قديم تحدث
عن الحياة الكريمة و عن الموت الكريم .. و هناك
زعيم من هذا الزمان قال مرة إن من يعجز عن

اكتشاف شيء يموت من أجله الإنسان لا حق له في الحياة.. ستقول لي إنه رأى متطرف..

رجلنا يثق في نفسه أكثر من اللازم، و يذهب به ذلك إلى عدم اعتبار الآخر.. فهو يجوب المدينة أحيانا يكون معه حارسان اثنان فقط..

و أنا دافيدوف رجل نشيد الإنشاد ألمس في نفسي القدرة على أن أعر على سلاح و أن أذهب إلى الدار البيضاء .. بيتسم حلیم ..

- ابتسم .. لكن اعلم أني أستطيع الحصول على مسدس أوتوماتيكي من نوع سيغ ساور بيه 230, أستطيع أن أفرغ في صدر معاليه 20 ..

أستطيع الحصول على مسدس ماغنوم 44 التسديد.. إنه مسدس يمكن إخفاؤه في ماسورة الماء بمرحاض الفندق الذي يشرب فيه معاليه كأسه اليومية..

أتذكر شريط "العراب" لفرانسييس فورد كوبولا ؟ أتذكر المشهد الذي قام فيه آل باتشينو بأول عملية اغتيال ؟ ليكن الأ

جوهرى. تدخل الفندق و لا أحد سيفتشك.. معاليه في المرحاض و عندما يتفضل و ينعم عليك بإطالة تزرع فيه رصاصاتك العشرين..

ينتبه إليك أحد تتسلل من نافذة تطل على الخارج.. بيتسم حلیم مرة ثانية ..

- فكرتك جميلة.. لكن هل تضمن فراغ م مقصف الفندق من غير معاليه.. هل تعرف أن عملية كهذه تتطلب قاتلا محترفا يعرف كيف يدبر أموره.. المحترف ناجع. دقيق. التسديد.. أما أنت يا عزيزي فطلقاتك حتما ستكون

عشوائية و ستخطئ الهدف من أول طلقة و إذا
أخطأت الهدف من أول طلقة لن تكون لديك
لإطلاق رصاصة ثانية.

دعني أقل لك إنني بدوري فكرت في
.. لكن ببندقية دقيقة التسديد من غرفة بالعمارة
المقابلة للعمارة التي يحتكر معاليه مصعدها..
عدسة مقربة و رام مدرب تدريباً جيداً.. و على
بعد ألف متر حتى، تستطيع رصاصة واحدة أن
تفجر دماغ معاليه و تطوي الصفح
.. بيتسم دافيدوف هذه المرة ..

- .. فأين نجد الرامي ؟ ..
- أنا أتيتك بالبندقية.

- يطلق دافيدوف ضحكة عالية..

- ها قد أصبحنا إرهابيين..

- أه لو كنت أستطيع الحصول على غاز السارين
لاقتحمت مصعده بنفسي و زرعته في أنفه

- من الآن أنت حلیم آساهارا ..

- آساهارا قتل الأبرياء في مترو طوكيو أما أنا
فسأريح البسطاء من استهتار طاغية بمشاعرهم ..

- سأبحث عن السلاح و الخبير ..

- الخطوة التالية. و طبعا لن يعلم سلمان و لا زوجته
شيئا عن هذا الأمر.. ما رأيك ؟

- يتفقان كأن الحديث جرف

إليهما سعادة من النوع الذي يمارس دون قيود..
يشعران أن علاقتهما بسلمان قوية كالحب العنيف
الذي كثيرا ما يبدأ بالاستفزاز ..

هكذا بدأت صداقتهم ذات يوم . لا داعي لسرد
حكاية هذه الصداقة
كثيرا ما يرددان أنهما فهما معنى الصداقة يوم فهما

كثيرا ما حلما و حلم معها يهدوء بأن يتوصلا يوما
إلى إقامة الحد على الأيدي القذرة و قطعها أمام
الملا و هم الآن يكران ...
! يقول دافيدوف ..
.. يقول حلیم ..

هو أصغر من أن نكرهه ..
يفترقان الصديقان دون أن يفترقا.. لعل كلا منهما
يتذكر أنه كد و تعب و اشتغل و لم ينل سوى
. لم يشتريا من أجرتهما التي لم ت
تساير إقاع الشهر سوى علبة من حقد.. يقول
أحدهما للآخر.. إن هذا الوجع الذي نعيشه هو
. وحدثنا هي نحن.. هي التي شيدت جدارا
بيننا و بين أهواننا..

يفترقان دون أن يفترقا.. يزحف حلیم يسارا نحو
شقتة. و يزحف دافيدوف بدوره يسارا نحو بيته
العتيق الذي ورثه عن والده..
كل منهما يفكر في قضية سلمان. و كل منهما
يعتبرها قضيته..

كل منهما أكثر من الطبيعة التي شكلته.. أكثر من
الصيغ الكيميائية التي تراكمت لتجعل منه شخصا
.. كل منهما يعلم جيدا و يعي كيمياء
المرأة التي لم ترتكب ذنبا غير أنها ولدت في هذا
البلد ثم ارتكبت ذنبا آخر هو أنها ولدت أنثى و

ذنباً أعظم هو أنها انساقت للصدفة و وجدت نفسها
داخل مصعد جحيم دانتي أرحم منه..
كل منهما الآن يفكر بجد في الموضوع..
منهما تلقى الضربات منذ الأزل.. جيناته الأولى
عانت و عانت التي بعدها و التي بعدها حتى
أصبح يشعر برغبة تعز على المقاومة في الدخول
..
لعل ما يدور في خلد كل منهما الآن يكفي لرسم
معالم جديدة لحياتهما ..

www.alkottob.com

VIII

- هل تستطيع أن تعيش و تدع الآخرين يعيشون ؟
يصفق معالي الوزير لطرح السؤال قبل أن يرفع
س إلى شفثيه و يقول :
- برفو يا رجل.. هذا سؤال عبقرى..
أدع الآخرين يعيشون و حسب. أنا مصدر عيش
الآخرين.
و يشير إلى حارسه الشخصي و يضيف ..
- انظر إليه .. عضلاته المقتولة لا قيمة لها في
غيابي .. أحسن ما يستطيع أن يفعل بها هو حمل
البضائع في الميناء من سفينة إلى شاحنة و من
شاحنة إلى سفينة.. معي أنا يرتدي الكريستيان
ديور .. و يقف .. يسير جنبي هذا كل
ما يفعله مقابل أجرة تسيل لعاب الكثيرين.
إلى كوني في غير حاجة إليه.. نحن نعيش في بلد
.. نعيش فيه أمنين محلقيين رؤوسنا..

ك إلى أنه يرافقتي قليلا.. لا عندما أشعر
.. إذ لم أشعر بالخطر مطلقا و لكن عندما
تقتضي الإيتيكيت حضوره معي.. إذ لا يعقل أن
أذهب إلى مكان كل نظرائي فيه مصحوبون
بحراس شخصيين و أنا لا ..
يرفع الكأس مرة ثانية إلى شفثيه.. و يجول
ببصره في قاعة مقصف الفندق الفسيحة..
نظرته دون أن تتوقف على شخصين ينظران
جهته ..
شيء في داخله يرتجف قليلا.. يتجرع الكأس إلى
آخرها .. يقول في نفسه ..
- أنا شخصية عامة و طبيعي أن ينظر إلي الناس

..
ينتبه صديقه لشروده ..
- أين غبت يا معالي الوزير ؟
يطلق ضحكة عالية.. يشير للنادل أن يأتي له

..
و يتحدث هو. و يتحدث الآخر. و يضحك هو
ويضحك الآخر.. و يقف الحارس الشخصي في
الكونتوار .. أمامه كأس من ماء معدني ..
يعقل أن يشرب في أوقات العمل .. و يحدق فيه
. و يتحدثان فيما بينهما . و يضحكان
ويشربان بدورهم .. و ينظران إلى رواد المقصف.
و يعبر بصرهما الحارس الشخصي لمعالي الوزير
دون أن يثير انتباههما و دون أن يعلما أن الوزير
يصحب معه حمايته.. و يتحدثان. و ينظران إلى
معالي الوزير و هو يشرب يقول يضحك يشير
للنادل. ينظران إليه و هو ينهض.. و هو يزحف

نحو مراحيض المقف .. ويريان الحارس
الشخصي بدوره يتجه نحو مراحيض المقصف..
ولا ينتبهان إليه.. و يتكلمان.. ينهض أحدهما
يتوجه إلى مراحيض المقصف..

عند مدخلها يكاد يصطدم بمعاليه خارجا..
لا ينتبه إليه الوزير.. يدخل.. ثم يخرج.. يتوجه
نحو صديقه ويتحدثان طويلا.. لا يستطيعان
نظراتهما من التسلل نحو السيد الوزير..

- نظرة السيد الوزير تصطدم بالنظرتين.. فيرتجف
هذه المرة وجلا.. نظرة السيد الوزير هذه المرة
تتوقف بدورها عليهما.. تتفحصهما من بعيد..
تتقلص عضلات وجه الرجل..

- غريب أمرهما .. كأني موضوع حديثهما.. !
هذا طبيعي .. فأنا شخصية عامة..
و مع ذلك يشير للنادل الذي يأتيه ركضا .. ينحني
.. يتكلم الوزير .. يرد النادل ..
- لا يا سيدي .. لم يسبق لي أن رايتها هنا من

يشير إليه بالانصراف .. و يلاحظ الرجلان أنهما
كانا موضوع حديث الوزير و النادل..
يقول سلمان لنفسه

- ه تذكرني ..
يضحك صاحبه ..
- لا تخش شيئا .. ما يثيره هو تحديقنا فيه لا أكثر
يندهش سلمان و يسأل صاحبه
-
يرد صاحبه ..
- ألم تقل إنه تذكرك ..

و يطلق ضحكة عالية ..
- كنت تعتقد أنك تكلم نفسك .. أفق يا صديقي

ثم يريان هذه المرة رجلا
يقترب من السيد الوزير و ينحني و يسمع و يحرك
رأسه إجابا ولم ينتبها إلى كونهما موضوع
الحديث .. و يريان الرجل يعود إلى الكونتوار أمام
مائه المعدني ..
يقول سلمان لصاحبه

- أصبحت أنفاسي تضيق الآن..
يشير الصديق للنادل ..
و في الخارج يتنفسان الصعداء.. يشيران إلى
سيارة أجرة خلفهما الحارس الشخصي
لمعالي الوزير يسجل رقم سيارة الأجرة.. و يعود
إلى مكانه قرب كأسه على مبعده من وزيره.

خديجة ..

شكرا على رسالتك الأخيرة. تأبين إلا أن تضعيني
.. يشغلك دائما سلوك سلمان

أكثر من سلوك الرجل الذي يجهل حتى مجرد
وجودك في مكان ما من الحياة.. تقولين إنه يقرأ
كتبا لم تكن قط محط اهتمامه و يقرأ الروايات
البوليسية و روايات الجاسوسية والتحقيقات التي

و عندما تسألينه يهرب من الجواب أو يرد إنها
مجرد مطالعة و أن لهفته الجديدة على قراءة هذا

قلت إنه قد أصبح يقرأ كتابا كل ليلة ..
دعيني أمزحك و أقول إنه سيصبح مؤلفا عندما
يقرأ ألف كتاب و ينساها.. و سيصبح ذا باع ..
جميل أن يقال عنك الرسامة زوجة الكاتب ..

يعجبني هدوء زوجك. إنه أكثر تطورا وتحضرا
من عدد كبير من الرجال. لو كان غيره لحملك
مسؤولية ما حدث.. لأنك عن تفكيرك في الذهاب
يومذاك إلى ذلك المكان..

و مع ذلك فأنا مثلك منشغلة عليه. إنه نشاط
غير معتاد و غير طبيعي.
في دماغه.. لربما يفكر في الانتقام.. لا عليك. دعيه
يفكر ما بدا له. فالرجل بعيد المنال. دعيه يقرأ
ويبحث و ينقب إلى أن ييأس ..
دعيه ..

سيدرك أنه يراهن على حصان أعرج. و سيعود
إلى حياته ليتابعها. سيعود إلى فتح عينيه كل صباح
ليجد على كاهله يوما إضافيا جديدا..
لا شك أني أهذي يا خديجة.. قد يعتقد زوجك أنه
يسلك الطريق الصحيح, و يتمادى في إصراره إلى
ما بعد القراءة .. إلى الفعل .. لعل قدره سيرسم
يومذاك .. لعله الآن يركض إلى ضياعه دون
وعي منه.

حاولي أن تعرفي يا خديجة ما يدور بخلد الرجل.
ك القديم و استلي منه اعترافا ..
كلميه كثيرا.. حثيه على الكلام.
اجعليه يثرثر. فلا بد لكلمة ما أن تنفقت منه
وتكون هي لحظة التنوير لعقدتكما..
عاتبيه على صمته. على حزنه. قولي له ليس من
حقه أن يدع الحزن يدمره. أخرجيه منه.
عشرتكما جعلتك تشعري , صدقي فراستك
لأنها لا تخطئ ..
له.. فالدعاء لا يكفي لكي يكف عن تخطيطه

الأهوج إذا كان هناك تخطيط..
!
أنقذيه منه. إنه مقبل على فقدان البصيرة..

.. لت ساتابع الكتابة إليك..
.. حكايتك
تورقني منذ أن تلقيت رسالتك الأولى و رسالتك
الثانية زادتنني أرقا..
إني أفكر في زيارتك. وضعك أكبر من أن تكون
الرسائل فيه شافية.
..
بد أن أرى يزيد.. هذا الشخص الأسطوري الهابط
من كوكب غير الأرض..
أنا إذن ساتي إليك. هكذا قررت الآن.. كثيرا ما
تزوج بي رسالتك في حلم بالبطولة و الدم
والهتافات.. كثيرا ما أتمنى أن تتلمس يدي قبضة
خنجر. و كثيرا ما أشعر أننا من وطن آخر.
غريبان في هذا البلد الحافل بالضرب على القفا..
لذا أرا . أراني. أرا انتصاعد كهدير الأقدام
الحافية.. و نهيج نحو يوم دافئ هادئ لا ضجة فيه
لصوت و لا لحشرة بكاء.. أراك و أراني و
أرا تحمل ريحا عاتية تعصف باليد التي عبثت

..
أنا أهذي .. أليس كذلك؟
تأكدي يا عزيزتي أن حكايتك هذه لو عرفها
ما نعرفها لقامت الدنيا و ما قعدت.
ساتوقف عن الهديان. و ساتي إليك.
أن أدري كيف أن أختصر الأملك رغم أن لدي
إحساسا غامضا يهمس لي في كل وقت و حين أن

خلاصك آت وأن مصدره لن يكون سلمان
بقراءاته عن العصابات أو أنا بهلوساتي..
داخلي يقول لي إن الخلاص آت من يزيد.. هذا
الذي لا يقول شيئاً محددًا و مع ذلك يغمرك بشعور
أنت عاجزة عن تحديده و بعده يأتيك نوع من
الطمأنينة.
لست أدري لماذا و لكنني أشعر بدنو نهاية هذه
.. و سيعلم بعدها معالي الوزير أنه أخطأ
الطريق.. سيعلم أن الوقت الذي قضاه في غير
.. سيوعي أنه أحب نفسه أكثر من
اللازم و دخل مغامرة دامت عمره كله.
يعني ذلك يكون السيف قد سبق العدل..
مازلت أهذي يا خديجة ..
اعذريني ..

معذرة إن أنا تماديت في تعذيبك بهلوساتي ..

أثارني البارحة شخصان كانا يتحدثان عني دون
.. في البدء قلت إن الأمر طبيعي جدا أصبحت
أمامهما شخصا من لحم و دم بعد أن كنت مجرد
صورة تتحرك في التلفزيون..
عندما أطلا التحديق و الحديث قلت إن في الأمر
شيئا يجب أن أعرفه.. لعلهما فطنا إلى إصرار
على معرفة حقيقة أمرهما.
بعثت خلفهما حارسي الشخصي فجاءني برقم
سيارة الأجرة التي امتطياها.. و قال سائق السيارة
بعد ذلك أنه أنزلهما في وسط المدينة..
حيرني أمرهما قليلا .. ثم نسيتهما ..
إن في الأمر شيئا..

إذن علي أن أكلم من يهمهم الأمر.. يجب أن يعثروا عليهما و أن يعرفوا ما يرميان إليه.. هذا ليس مجرد قول.. لقد بدأت و استشرت صديقي ..غريب أمر داني هذا..

فعله؟

اضطجع على الكنبه و طلب مني أن أحشر شريطا لزهرة الفاسية في المسجل .. :
- أتريد أن أكلمك بصراحة.. أم تريد

ضحك عاليا .. و هو يهز رأسه على إيقاع الأغنية
- الناس لا يحبونك.. هم يضحكون من نوادرك.
من الحكايات الطريفة التي تروج عنك..
الحكايات التي تأخذ شكلا جديدا كلما تغير راويها.
يخافون منك لأنك تملك سلطة العقاب دون أن يسألك أحد.. لكنهم يشمئزون منك.. يتقززون من رؤيتك .. يتمنون أن يأتي يوم يتخلصون فيه منك..

..
!

ضحك هو و أضاف :

- أ رأيت كم الصراحة مؤلمة ؟ .. لا أحد يستطيع تحملها .. لقد انتهى شريط زهرة.. أعندك شريط لريموندا البيضاوية .. إنني أطرب لها كثيرا ..
حشرت شريطا لريموندا البيضاوية. و همست له
- أنا ! أنا الذي وهبت حياتي لخدمة الوطن. أنا الذي أعطيت بلدي طاقاتي كلها و راحتني ..
بالكراهية !

!

لكن لا عليك.. بقدر ما أضحى في سبيل بلادي
بقدر ما أرغب في الحياة على شاكلكي .. أنا أحب

..

- نساء الآخرين يا معالي الوزير.. و هذا ما لا
يرضاه لك منصبك.. و أي أنواع الآخرين؟..
الضعاف الذين لا يملكون القدرة على مواجهتك ..
أغاظني داني .. مددت يدي إلى المسجل.
أخرست صوت ريموندا .. و قلت له بصوت

- من لا يملك القدرة على المواجهة لا يستحق أن
يعيش .. من يتدثر بخوفه و يصمت لا يستحق
.. يكفيهم فخرا أنني أقيهم بعلمي و مجهودي

- أنت الذي طلبت مني أن أحدثك بصراحة يا
معالي الصديق، حقيقتك لن يستطيع أن يقولها
غيري. أنت و أنا يا عزيزي من طينة أسماك
.. نحن نراقب الحواس الخمس للناس.
نراقب حاستهم السادسة حتى.. و يجب أن نعرف
حقيقة مشاعرهم نحونا حتى نعرف كيف نتصرف
.. فأنت تؤمن به

تقرأ نظراتهم ليصلك صدى نفسك.
يا معالي الصديق نختزل بلدا فقد قلبه ..
هل تستطيع الآن أن تتوصل إلى جمال الحقيقة و

عندما أفكر فيك جيدا أرى نفسي. و أرانا نختبئ

ثم عاد إلى ريموندا
- دعني أسمع هذا الصوت الجميل و بعدها
سأعطيك ما أراه حلا لمشكلتك ..
أفرغت له كأسا .. بعد جرعتين قال ..
- أنت أوقعت جراحا كثيرة بشعور كثيرين..
يكون الشخصان اللذان يؤرقانك الآن من
ضحاياك.. و قد يكونان ضحيتين صعب اندمال
جرحهما.. لذا من الصعب التنبؤ بما يحيكان لك..
ابداً بتحصيلين ؛ . اخرج من تهورك
واستهتارك بالخطر الذي يطل عليك من عيون
.. و حتى من عيون المحيطين بك..

وثانيا ؟ سألت داني ..

- ثانيا ؟ ..
يصعب على من هو مثلنا أن يطبق ثانيا هذه.

عزيزي حليم ..
لا شك أنني أز عجتك و أز عجت الأصدقاء هناك ..
.. رسالتك الأخيرة كانت بليغة و بينت
مدى متانة الروابط بيننا. لا شك أن الطريق التي
عبرناها معا من الاجتماعات السرية إلى السجون
إلى الحرية/
قديما كذ
..

اليوم أنا أحلم على مقاسي و أجدي عاجزا عن
تحقيق هذا الحلم ..
و اليوم ها أنا أزج بأصدقائي في الكابوس.
بك أنت و دافيدوف .. لا حاجة لأن أكررها.

تعلم أن البيت بيتك. و أن من يراك يراند
يراني يرانا ..

بيتي و في نفسي ..
لقد أحالنا معاليه إلى غريبين يضمهما سقف واحد
ما أسعى إليه الآن هو البحث عن كيفية الحصول

أريدها بأي ثمن ..
ليكن بالا
و أنا أنتظر كما لنتدارس الأمر جيدا ..
إلا أني كلما أمعنت التفكير فيها أجدها
أضعف من أن تصيب ..
القدر بعملية تشفي غليل الكثيرين.
قبل أيام كنت أنا و أحد الأصدقاء في مقصف فندق
النعيم.. و هو فندق يرتاده معاليه ليرفه عن نفسه
ثم عدنا مرة أخرى إلى نفس المقصف.. لم يكن
الوزير هناك ..

- أنتما اللذان كنتما تطيلان التحديق في السيد
الوزير
كيف عرف ؟ نظرت إلى صديقي ..
- لقد بعث وراءكما حارسه الشخصي..
بعد ذلك الوصول إلى سائق سيارة الأجرة الذي
حملكما و يبدو أنه لم يستطع سوى معرفة أين
هبطتما من السيارة ..
و منذ ذلك اليوم و هو يأتي بأربعة حراس. لذا أثير
انتباهكما أنكما معرضان لخطر حراسه ..

اندهاش!..
ذلك في نظرة صديقي و قرأ ذلك صديقي في
و قرأنا معا في نظرة النادل شيئا كالرغبة في القتل
- الآن اذهبنا .. و إذا أردتما أن نلتقي في مقهى ما
لنتحدث بتفصيل أكثر..
و ذهبنا ..
لست أدري لم اخترت. و لست أدري لم وافق
صديقي على أن نلتقي في مقهى " السقيفة "
ن الثاني القريب من العمارة ذات
المصعد الذي رسم منعظفا في حياتنا..

.. للنادل حكاية بدوره مع معاليه.
لا نسأله عن تفاصيلها و قال إنه على أتم الاستعداد
للدخول معنا في أي مخطط يهدف إلى جر أذن
معاليه ليعلم أن الإنسان يرفض أن يهان من طرف
نريد أن نعطيه درسا عمليا في كيفية التعامل مع
هذا الرجل سيفيدنا كثيرا. فهو يعرف الكثير عن
عادات معاليه. و يعرف طقوسه..
ودافيدوف سنكون مجموعة ..
نفعل في الأيام الجميلة ..
لن يهنا لي بال حتى يصاب الرجل بشرخ في
اعتداده بنفسه, حتى ينهار الجدار الذي يشيده
حوله. و كلما سعيت إلى جس النبض اكتشفت بأن

الحاقدين عليه يزداد عددهم يوما بعد يوم لأسباب شخصية.. بعيدا عن الرؤى السياسية..

عندما يخاف يصبح خطيرا و لا أحد يستطيع أن يتنبأ بما قد يصدر عنه.. هو نفسه لا يستطيع ذلك.. أعي ذلك عزيزي حليم.
. أسعى إلى عدم الدخول في حماقة تمتد عقباها إلى غير المعنيين بالأمر..
.. يكفي أن نعثر

أنا في انتظارك عزيزي حليم.
انتظارك أنت و دافيدوف لنتحدث..
لنحدد الهدف. و بعد أن نحدده تحديدا لا يدعو , ننسأه تماما و نركز على وسائل تحقيقه..
أتذكر ؟ لقد كنا نردد ذلك في اجتماعاتنا القديمة ..
و من يدري لعل هذا الرجل يجمعنا بعد أن فر بيننا الأيام.. لعله بفعلته تلك يقدم لنا خدمة قد نجني ثمارها لاحقا..
عندئذ سنشكره على ما قام به.

يخططون .. منهم من يفكر في المنجل
على غرار رجل تازة الذي يحكى أنه كان يرسم
علامة على مؤخرة الأعيان بمنجله فيتحملون و
يصم .. كان يفعل ذلك كلما اختلى أحد بخليته
داخل سيارته في منطقة خالية كان يعتبرها
منطقته.

منهم من يفكر في استعمال السلاح على الطريقة
الأمريكية. و منهم من يفكر في شيء آخر لإلحاق
الإهانة بالرجل. كأن يغتصبوه جماعة و يأخذوا له
صورا يشتررون بها صمته..
منهم من يف

يفكرون و يجهلون أن الأمر قد قضي.
الواقعة آتية لا ريب فيها. المسألة مسألة وقت فقط
لا غير..

لن أقول ذلك لخديجة ..
و لا يجب أن تعلم. و لا يجب أن يعلم غيرها ما لن
يصدقه أحد..

أنا الآن .. في هذه الغرفة الصغيرة الفسيحة،
أستطيع أن أرفرف

أستطيع أن أدخل إلى بيت معاليه دون أن يراني ..
أستطيع أن أراه دون أن أراه .. أتفرج على نزواته
حديثه مع صديقه المدعو داني مثلا ..

لقاءه بعد ذلك بسكرتيرة جديدة في شقته، أستطيع
. و أرى بعين هي غير العين.

و عندما أعود إلي أجدني أقتعد الأرض.. متعبا
كمن قضى اليوم في الركض. و أغفو قليلا.. ..
لا أغفو قليلا بل أذهب في نوم عميق ..
أفتح عيني يكون ميعاد العمل قد أزف..
أرتدي بذلتي البيضاء و أخرج إلى المقهى.
وأتوجه إلى عملي ..

و عندما أنهى عملي أمارس الرياضة و أجاهد أنا
دائما أجاهد.. و لأنني أجاهد أصل إلى الذوق و من

هو قول غامض لن تدرك خديجة فحواه.. و لن
يدرك سلمان فحواه.. و لا دافيدوف.. بدوري لا
أستطيع شرحه لغيري. فما أعيشه حالات لا يد لي
فيها ..

.. بل أحسنني..
.. ياه ..
كم تضيق العبارة ! أعيش لحظة هروب الصوت
.. يحدث ذلك في جمع غفير حيث يأمر
أحدهم بأن يفسح له المجال ليلقي خطابا، أراه يأمر
أحدهم أن يقدمه و يلح عليه في أن تكون الديباجة
يبدأ الإطراء . يبدأ منح الوزير
ها في غير الخطاب .. وعند كل
صفة تتعالى الهتافات و التصفيقات و بعد التصفيق
يتقدم معاليه . يقف أمام الميكروفون ويصفق الحشد
. يصفق. يصفق. يصفق يشير بيده لهم أن توقفوا
عن التصفيق.
يحدق في الحشد . يرتجف قليلا.
هناك من يتربص به الدوائر.. يرتجف أكثر. يسعل
و بصمت الجميع.
كلهم يعلمون أن من عادته الدخول في الموضوع
فورا و يعلمون أن من عادته أن يبدأ القول قبل أن
ينهي الحشد التصفيق.. و ها هو يأمرهم بالصمت
فيصمتون.. و ها هم ينتظرون أن يقول ..
يرتجف .. ينتظرون ..
أمام الميكروفون يحاول أن يتكلم .. يصدر عنه
.. ما يصدر عنه ليس كلاما. لا يشكل حرفا
. من حروف الأبجدية غير الألف .
.. الألف الممدودة تتمدد أكثر.. تصبح
كصرخة ألم و ما هي بصرخة ألم..
أكثر فأكثر. لا يفهم الحشد. و تنبعث الهتافات
لمدارة الوضع.. و تلي الهتافات تصفيقات..
تتوقف الهتافات. و تتوقف التصفيقات و الرجل لا
يتوقف عن مد ألفه.. .. إنها صرخة .. هي

ليست صرخة.. لا أحد يعلم ما يحدث.. يهمس البعض أن الوزير أصابه مس من الجنون. أحدهم يفكر أن الرجل لم يعد يتحكم في صوته.. يفكر في إخراس الميكروفون.. و آخر يفكر سحب الرجل من المنصة. و آخر يفكر دون أن يفكر..

يحتارون في أمرهم.. لكنهم في النهاية يهتدون إلى . يخرسون صوت الميكروفون. يجذبون معاليه من الحفل الخطابي.. و يهرع أحدهم إلى طبيب يطلب مساعدته فالرجل لا يتوقف عن مد ألفه الصوتية.

يطل رجل يحمل محفظة. يفتحها. يخرج حقنة.. يغرسها في ذراع الرجل اليمنى. تواصل الألف امتدادها وسط حيرة الجميع. يخفت الصوت و تمتد الألف.. يبح الصوت و تتمدد .. يتلاشى الصوت.. و يغمض معاليه جفونه..

و ينفض الجمع ..

. و أشعر بالتعب.. و أغفو. ..

أرى فيما يراه النائم شيئاً ..

هل أقص حكايتي هذه لخديجة ؟

. لا أستطيع.. . عندما أكون في

حضرتها تغيب عني كل الأحداث التي أعيش في

..

تتوقف الحافلة في محطة أولاد زيان..
المحطة كتلة من ضجيج،

.. . . .
يهمس حلیم لدافيدوف ..
- هل تصدق أنني هكذا أتصور الحشر..
ينظر إليه صديقه بابتسامة غامضة ..
يقول لسائق التاكسي
خذنا إلى مقهى السقيفة بشارع الحسن الثاني.

يتذمر السائق من حركة المرور. يلعن العابرين.
يمتعض من سائقي الدراجات هوائية كانت أم نارية
و من عدم احترامهم لعلامات المرور.. يشتم
. لم يدر حليم و دافيدوف ماذا فعلت المسكينة
يقول السائق :

- يحق لأولي الأمر أن يعفوا الميزانية العامة من
هذه العلامات و الإشارات الضوئية فلا أحد
يحترمها.. .. و يقولون حوادث السير كثيرة

أمام مقهى يتوقف. و يشير إليها قائلاً :

- ها هي مقهاكما ..

يطلبان قهوة سوداء ..

ينظر دافيدوف إلى ساعته ..

قبل عودة النادل إليهما بالقهوتين يطل سلمان و
معه ابتسامة تقول مرحبا بأهل الجنوب..

..

عن الطريق..

تعبير عن الفرحة باللقاء. استعادة للذكريات
الخالية. دغدغة لما مضى من المقالب.
ضاحك لأيام زوار الفجر و الزنازن..
عدم فهم رجال الشرطة آنذاك لمفاهيم الحتمية
التاريخية و المادية الجدلية إلخ إلخ إلخ ...

...

يطل صديق سالم صاحب ف

تقديم.

..

...

يطل نادل المقصف.. تقديم.

..

...
يقترح دافيدوف مكانا أرحب للحديث. دافيدوف لا ينسى أن للحيطان أذانا.. كلهم يقبلون اقتراحاته.. ويعرض النادل على الجميع شقته.
و النادل سعيد باللقاء بهذه الفصيلة من الناس. هذه الفصيلة من الناس سعيدة بعثورها على مكان تتحدث فيه بكل اطمئنان..

لا يرى دافيدوف ذاك الشخص القابع في الزاوية اليسرى من المقهى.. الشخص القابع في تلك الزاوية يرى دافيدوف . يذكره جيدا. صحيح أن الزمن فعل فعلته. لكن ملامح الرجل لا تزال أمينة لشبابها..

الشخص القابع في تلك الزاوية يعرف سلمان.. ويعرف حلیم, صديق سلمان و دافيدوف منذ زمن بعيد.. لا يعرف صديق سلمان و لا يعرف النادل. دفقة من شيء مجهول تقول له إن ما يشغلهم هو الموضوع الذي حدثته عنه كثيرا خديجة.. يعرف أنهم يتدبرون أمراً.

يعرف أن من هؤلاء من يسعى إلى إطفاء نار تقضم داخله و يعرف أن من هؤلاء من يسعى إلى تلبية نداء داخلي يرفض الظلم و يتطلع إلى جزاء كل من يعتقد ظالما.

يرى في هؤلاء غضبا ينضج على نار هادئة.. الشخص القابع في تلك الزاوية اسمه يزيد.

لا أحد منهم يعرف أنه معهم الآن.. و أنه الوحيد الذي يعرف نواياهم.. فهل إذا التقت نظرتيه بنظرة دافيدوف سيعرفه ؟

يرفع دافيدوف بصره إليه.. هكذا دفعة واحدة.. لكن النظرة تعبره كما تعبر وجوها عديدة في مقهى لسقيفة. يراهم يزيد يقفون. يتسابقون على الأداء و يخرجون تباعا.. يراهم. و يبتسم. لا يرونه .

في شقة النادل مجال للحديث طويلا و عرضا عن معالي الوزير.. يبدؤون بالحديث عن طرائفه .. عن بهلوانياته أحيانا.. عن تعامله مع .. يتحدثون عن شهرياراته.. و عن شياته . القراقوشيات مرتبط الفرس.

- كيف سنتدبر أمورنا ؟
يقول دافيدوف

.. صاحب المنجل لا يريد الموت لغريمه.. يقول :
- أريد أن يعيش بالآثر على مؤخرته.. أريده أن يقاسي جزءا مما يقاسيه ضحاياه.. يقول حلیم..

- قد يعيش برسم على مؤخرته و يزداد طغيانه تحت رغبته في الانتقام و يكثر عدد ضحاياه و لن نملك أن نعيد الكرة مرة ثانية.. يجب أن نضع نقطة لحياته ثم نتدبر أمرنا ليعرف الخلائق أن هذا الرجل لم يلق سوى جزائه.
تتوالى المناقشة.. ينبغي أولا أن يتفقوا على الوسيلة قبل أن يشرعوا في مناقشة كيفية التنفيذ..

تنتظرهم لقاءات متعددة لضبط أمورهم. هم يعلمون ذلك.. حتى لا يكون قرارهم سريعاً. يقررون تحديد موعد لاحق لمتابعة النقاش.

XIV

زينب تضغط على الزر.. يأتي صوت من

- أنا زينب ..

- ياه ..

تكررها خديجة مرات و مرات..

ترتمي زينب في حضن خديجة..

- ها قد فعلتها و جئت ..
- منذ أن توصلت برسالتك و أنا أنتظر. كنت أعلم أنك ستفعلينها..
- حديث الصديقتين ذو شجون ..
- و خديجة ..
- لأن قلبك من الطراز الرفيع. تختلفين عن الأخريات. لأنك تملكين القدرة على رؤية الحقيقة تستطيعين أن تفهميني.
- و زينب:
- .. لأنك تختلفين عن الأخريات لأنك تملكين القدرة على رؤية الحقيقة تستطيعين أن تفهميني..
- كلام من هذا القبيل.
- بعده تأتي صينية الشاي و الاستراحة و مشاهدة التلفزيون و انتظار سلمان.
- يصافح زينب. يسأل عن أحوالها.. يرحب بها. تلمس الصدق في ترحيبه بها و تلمس نوعا من الارتياح.. و تقرأ في عيني الرجل بريق الفرح بلحظة خلاص قد تمنحها زيارة زينب.
- لعله في حاجة إلى زيارتها أكثر من خديجة. هكذا تفكر زينب..
- ينسحب سلمان إلى غرفة النوم.
- الصديقتان و أمامهما شاشة التلفزيون.
- ..
- . الأسابيع الثقافية حيث تزدهر التبوريدة و العيطة و معارض لبيع السلع..
- .. ومباريات كرة القدم.
- فقط لا غير..

تخشى زينب أن يظهر الوزير و ترتبك جلستهما.
تتمنى أن يظهر لتقرأ على سحنة صديقتها ما قد
يساعدها على مساعدتها.

تدعو خديجة صديقتها إلى رسمها..
ما حدث و هي تصارع لوحة ترفض أن تتصاع
لريشتها..
تقف زينب أمام اللوحة العنيدة تتأملها و تدخل في
.. تتحدث إلى نفسها و كأن الر:
غير موجودة.. تدخل في مناجاة مع العمل الذي
ينتظر أن تهتدي إليه يد مبدعته و تنهيه..

.ياها!
خديجة تفكك الألوان على اللوحة و تعيد تركيبها
في العين. و هذا التداخل بين الذات و الموضوع..
أفكار خديجة تدور حول ذاتها.. هذه الفوضى.
هذه الأحاسيس الشخصية.. و عناصر عدم

زينب لا تعلم أن صوتها يتسرب إلى سمع
صديقتها.. يبدو على خديجة التأثر و يلمع في
عينها مشروع دمعة..
- أنا ؟ .. تريدين أن تقولي إن هذه اللوحة تحفل
بكل هذه الأشياء..
ه زينب إلى أن رحلتها عبر اللوحة لم تكن
- هذا ما بدا لي..

- .. كنت أتبع يدي و هي تخط الألوآن
و هي تخط هذه الطلاسم على اللوح ..
- كآني بك تنتفضين ضد عجزك عن مواجهة

ترسانة من القوانين و الشعارات و الدعوات
المتتالية إلى الحق و العدالة.. كآني بك تصرخين
ضد الجالسين فوق ..
و كآني بالمخاوف تحيط بك و تهريين إلى هذه
اللوحه و تدعين ما يختلج داخلك يأخذ أشكالا

كآني بك يائسة ..

تصمتين.. و تنشغلين بسلمان و تدارين عدم
حقدك على اليد التي امتدت إليك. و أحيانا تنشغلين
بانجذابك إلى صاحبها. لوحتك يا عزيزتي أنك.

لعل سلمان يعاني أقل مما تعانين..

عليائه .. لقد كنت بالنسبة له نزوة انتهت و انتهى
أمرها بمجرد خروجك من المصعد.. ما يحدث
ينذر بكارثة. ليست القضية قضية شخص متجبر..
إنها صورة لمعيش منحل.. متهتك.. إنها تدعو إلى
. لم يعد في الدنيا ما يستحق العيش من أجله..

لا يسود سوى الغباء و الشر. إياك أن تتصورى
لحظة واحدة أن معاليه ذكي. إنه غبي غباء بلا
ضفاف.. يعتقد أن الحق بجانبه ما دامت القوة
بجانبه.. و لأن القوة بجانبه فهو لا يحتاج حتى إلى
تبرير سلوكه تجاه الآخرين. لكن لا عليك.

. و كما أن للبكاء وقتا و

. كما أن للزرع وقتا و للجني وقتا..

كما أن للنواح وقتا و للرقص وقتا..

.. فلطغيان معاليه وقت و للجزاء وقت ..
ثم يفتر ثغرها عن ابتسامة عريضة و تقول :
- فضيلة هذه المعاناة أنها أنتجت هذه اللوحة
الفريدة

XV

المقصف كبير.. المرايا تكسو جدرانه .
تزيد من حجمه.. الأرائك الحمراء و المناضد
الرخامية و المقاعد الصغيرة من القطيفة الحمراء.
داني و صديقه يحدقان معا دون سابق اتفاق في
فتاة تعبر القاعة و تقذف برديها ذات اليمين و ذات
يهمس داني لصديقه :

- سيظل الجمال دائما يدهشنا.. سيظل دائما يزرع
الارتباك في الشيوخة الزاحفة علينا ..
يقبل نحوها رئيس المقصف و ينزع بنفسه السدادة
عن زجاجة الويسكي..
تقترب الفتاة منهما تجلس إلى مائدة قريهما.
صديقها رجل في أواخر العقد الثالث.. أسود
.. أبيض البشرة. يرتدي قميصا حريريا.
داني ينظر بازدراء إلى الرجل. صديقه يحدق في
يقه يشعر بأن المكان حوله يدور. يهمس
- ياه ..
يلقي عليه نظرة بطرف عينه.. و بيتسم ..
- ما بك يا معالي الوزير ؟
يهمس معاليه ..
- أرأيت هذه التحفة ؟
- نعم رأيت ..
-
بإشارة من يده يقبل نحوه أحد حراسه.. ينحني ..
يسمع ..
- قل لها إني بانتظارها ..
يقول الحارس ..
-
يقاطعه معاليه ..
-
خارج المقصف و داخل سيارة تتكسد الجماعة
النادل يقول :
- قد يخرج الآن ثملا .. و قد يخرج صاحيا أو
.. و سنعرف إلى أين يذهب..

- داخل المقصف.. ينحني الحارس على الفتاة
يهمس لها ..
- ير معجب بك ..
- : ..
- ..
- و هو بانتظارك ..
لا تفهم الفتاة شيئاً. يلاحظ صديقها الأنيق حيرتها و
يتدخل ..
- يمكنك أن ترفع صوتك قليلاً ..
يعتدل الحارس .. و يجيب
- هي المعنية بالأمر ..
داخل السيارة.. يقول دافيدوف :
- لنفرض جدلاً أنه سيذهب إلى الشقة في العمارة
قرب مقهى السقيفة..
يرد حلیم :
- .. نريد أن نعرف هل
سيذهب وحيداً أم معه مرافقوه.. و هل و هل..
أفهمت ؟
يتدخل سلمان ..
- لنفرض جدلاً أنه ذهب وحيداً ..
يرد دافيدوف ..
- ستسهل مهمتنا ..
- ..
يقول صديق الفتاة :
- ما دامت معي فأنا أيضاً معني بالأمر
يجلس الحارس ..
- آسف ليس لدي ما أقوله لك ..

- تظل الفتاة داخل حيرتها و لا تحير جوابا. تلتفت نحو مائدة الوزير و صديقه.. :
- بلغ معاليه اعتذاري.. و قل له إنه أخطأ التقدير..
 - يضحك الحارس الشخصي ..
 - لا أستطيع أن أبلغ معاليه اعتذارك لأن معاليه لا يحب الاعتذارات ..
 - يقف الشاب الأنيق .. و يهمس بدوره للحارس :
 - هذا سلوك غير حضاري.. قل لسيدك أن يحترم نفسه و مركزه ..
 - يبتسم الحارس الشخصي و يلتفت حوله ..
 - خارج المقصف. داخل السيارة. تتكسد الجماعة داخل السيارة و ترى ..
 - شخصان يخرجان يحملان شخصا ثالثا و يقذفان به خارج المقصف..
 - يقول سلمان :
 - يحدث هذا أيضا في فندق من هذه الدرجة ..
 - يرد النادل ..
 - ليسا من حراس المقصف.. إنهما من حراس معاليه.. لا شك أن مع الرجل امرأة جميلة أعجب بها معاليه.. و لا شك أن الرجل رفض أن يستولي معاليه على صديقته..
 - .. يهمس الحارس للفتاة ..
 - معاليه في انتظارك ..
 - ينتظرك يمكن أن يكون ضربا من النعيم أو ..
 - بعد هنيهة ..
 - أنت لبيبة و بالإشارة تفهمين
 - تسري القشعريرة ..

تكاد أنفاسها تختنق.. تنهض و تتوجه نحو معاليه..
يبتسم لها و يقول :

- -

..

يصب لها كأسا ..
لا ترد. لا تستجيب للكأس الممدودة لها .. تبحث
عن صوتها..
- أنت تصيني بالغيثان يا معالي الوزير
يظل الوزير صامتا

.. و تضيف :

- أنا منذ اللحظة أجهل مصيري.
.. و اعلم أن استجارك بهذه الفصيلة من
البشر و استعراضك لعضلاتهم لن تزيدني إلا
تقززا منك يا معالي ال... ..
يتدخل داني ..
- أنت لا تعين ما تقولين ..
اهله ..

- أرفض نعيمك و جحيمك لن ينال مني شيئا
يضحك معاليه ..
ثم يطرق برأسه ..
- أنت لذيذة.. و عنادك يجعلك أذ..

.. ينهض الشاب.. ينفض ثيابه .
يقف أمام مدخل المقصف.. يتأهب للدخول من
جديد و يتصدى له أحد حراس الوزير ..
تلاحظ الجماعة من داخل السيارة أن الرجلين
يتحدثان و ترى الرجل الأنيق يحرك يديه في
عصبية..

ترى الحارس يحمل الرجل و يذهب به إلى ركن .. و يسدد له لكمة توقعه أرضا .

ترى الجماعة الرجل يسقط. و لا ينهض و ترى الحارس يعود إلى مدخل المقصف و يقف و كأنه ينتظر أن ينهض الرجل من جديد.

ينتفض صديق سد ..

- من الصعب أن يتحكم المرء في أعصابه أمام هذا المشهد..

يقول حلیم ..

- هدفنا يتطلب أن نتخلى عن عواطفنا الآن..

- صبرك يا رجل

يقول سلمان

- صحيح أننا نعيش في غابة .

يقول :

- مسكينة المرأة التي من أجلها قذف بالرجل خارج ..شيء يغلي داخل السيارة و إذا استمر

يغلي فعلى الخطة السلام ..

داخل المقصف يقول داني ..

- أنا معجب بك أيتها الجميلة ..

دون أن تنظر إليه ترد :

- قل لوزيرك إنني لا أخشى سلطته. قل له إنه

ضعيف لأنه يعتمد على زبانيته و نفوذه.. قل له إنه

لا يفهم قيد أنملة في الحياة.. قل له إنه متسلط.

لنزواته.. قل له إنه شخص تحركه أنانيته و تحوله

إلى ذئب لا يستطيع غير مهاجمة الحملان.. قل له

إن وجود أمثاله يعزى إلى الجهل السائد في هذه

البلاد و فساد الجهاز الذي ينتمي إليه.. قل له إنه

أصغر من أن يضبط نفسه.. إنه يسمح لنفسه أن
يحقق ما يحلم به في منامه, لذا فالجانب الحيواني
فيه لا ينام .

.. ينظر الرجلان إلى بعضهما البعض..
تختفي ابتسامة معاليه بينما يطلق داني ضحكة
عالية. تقاطع ضحكته..

- .. لم يفضل صحبتك على صحبة
غيرك ؟ لأنك غريب شئت أم أبيت..
منك يهدأ .. فأنت لا تناقشه و لا تزاومه و لا
تمتعض حتى من سلوكه لأن الأمر لا يعينك ..

خارج المقصف تراقب الجماعة الرجل الممدد في
الزاوية.. ..

تقف خديجة قرب النافذة تنظر إلى الأشجار
تؤرجح الريح أعاليها.. تقترب منها زينب.
- ألا نذهب إلى السقيفة لرؤية يزيد..
تلقي عليها نظرة عجلى.. و تحرك رأسها بالإيجاب

يجلس يزيد قرب الواجهة الزجاجية.
ينظر إلى الريح تداعب رؤوس الأشجار.. تقول
زينب..

- دعيني أتعرف عليه بمفردي و اختبري فراستي..
ول ببصرها عبر المقهى .. ترى رجلا نحيلًا
رشيقا و تقرأ نظرتة إلى فعل الريح في الأشجار..
و تشير نحوه بإصبعها ..
- هو ..

تومئ خديجة برأسها و ترحفان نحوه..
مقهى السقيفة نظيف و واسع و أن بلاطه براق
و تحاول أن تصف الرجل

زئبقيا أن ملامحه و سحنته تتلمص
منها.. فقط تستطيع أن تحاول تحديد عمره في
الأربعين.. على أبعد تقدير ..
يصافحها باسماء.. و يقول:

- اخرجي من محاولة رسم صورة لي في ذهنك في
الحياة . ما هو أهم

و تجلس خديجة. بعدها تجلس زينب. ثم يجلس هو
و بحركة تكاد تكون خفية يشير للنادل بالقدوم إليه
في الخارج يبدأ مطر خفيف في تبليل الإسفلت .
من الخارج يبدو الإسفلت لزجا. و يزيد يبدو لزينب
رجلا يمتلك من الهدوء و رباطة الجأش ما قد
يحسده عليه الكثيرون.. و تشعر برغبة في تأبط
ذراعه و السير معه تحت المطر.. تبتسم لهذه
.. و في هذه اللحظة يأتي النادل و يملأ
المائدة بطلباتهم..

و يشرع الثلاثة في الحديث.. و بين الفينة
والأخرى يسود الصمت لدقائق..

تتحدث زينب عن عودة سلمان إلى البيت متأخرا في الليلة الماضية.. و تذكر أنها لاحظته يفقد شيئا من هدوئه المعتاد.. و لاحظته أحيانا يحدث نفسه بعالم لم تسمع ما كان يقول, و لكن شفثيه كانتا لاحظت أنه أمام التلفزيون, قام أحيانا بحركات عصبية من يده..

و تكرر خديجة حديثا أصبح مألوفاً لدى يزيد .. و يزيد ينصت.. و في ذات الوقت تهطل عليه صور متتالية متحركة لمجموعة من الرجال يتزاحمون داخل سيارة أمام فندق كبير و ينتظرون دون أن يعلموا ماذا ينتظرون.. و لم ينتظروا. يبدوون له مجرد هوة تآثروا بما يرون في الأشرطة و يعتقدون أن قبوعهم داخل سيارة في الظلام سيهديهم إلى حل..

تسر إليه خديجة بشكها في كون الزوج يدبر أمرا. تؤيدها زينب. تؤكد المرأتان أن الرجل غير متعمد على مثل هذه المناورات, لذلك, فهو كالصبي تفضحه عينونه..

يرد يزيد بابتسامة على هذا التخمين الذي يراه صحيحا. و يمتزج تخمين المرأتين بالصورة التي تتوالى عليه. , تترقب أن ينهض رجل اعتدى عليه أحد حراس معالي الوزير.. الرجل مغمى عليه.. و لا شك أنه سينهض بعد أن يعود إلى وعيه.

تبدو له الجماعة و قد تعبت من الانتظار.. يقترح عليهم أحدهم أن ينصرفوا إذ لا يرجى من هذا الترصده غير وجع القلب. و قد يفقد أحدهم أعصابه و تنكشف الخطة.

كل ما يقوله يزيد أن لا أحد سيصيب معاليه بسوء
لسبب بسيط هو أنه نفسه قد فعل ذلك ..
نفسه بنفسه و انتهى الأمر. ما سنرى لاحقا هو
تجسيد للعقاب فقط.. ستكبر وحدته. هو الآن
وحيد. لا أصدقاء له.. قد يفضي بما في دواخله
لشخص ما إذ لا مفر من الإفضاء..
شخصا لا مصلحة له إطلاقا في استعمال أسراره
. إضافة إلى كون هذا الصديق يؤنبه دوما
بالقول و يبارك أفعاله. و كأنه بذلك يشهد له بأن ما
عليه حساب و لا عقاب.
و هو محتاج لسماع ذلك. لذلك يدع صاحبه يقول
ما يشاء و يظل هو يفعل ما يشاء.. يمارس حرّيته
بكل حرية إلى حد التطرف.. و لا من يقول له إن
ذلك أفضع أنواع الطغيان..
ثم يتنهد .. و يضيف :

- لعله قدره .
يستمر الحديث.. يتوقف المطر في الخارج.
زينب أنها أمام شخص حشر خطأ في هذا المكان.
يشرب شايه بتأن. تشربان قهوتهما.. و تأتي لحظة

- بدا لي في البداية شحيا في القول كقطرات

تقول زينب. و تضيف :
- إنه شخص بعيد عن الامتلاء بالذات. صافي
الذهن. هادئ الأعصاب. لعله يعيش بالعمق..
أتذكرين ما قال عنك.. المرأة التي ترسم هي حتما

- فوق الشبهات.. ياه كم كان مصيبا حين قال ابحثا
عن القذارة حيث لا يوجد الفن..
- و نبوءاته؟ ما رأيك في نبوءاته؟
ترد وينب :
- لست أدري لماذا يخامرني إحساس بأننا قريبا
سنسمع عن معالي الوزير.. و أن هذا الخبز
الملوث الذي يأكل منه سيتوقف يوما في حلقومه..
.. هات يا تآبين و هات يا قصائد رثاء..
ستسمع روحه حماقات ردد مثلها كثيرا في حفلات
تآبين أمثاله.
- أتظنين أن أمثاله موجودون؟
تضحك زينب ..
بين أنه عملة نادرة؟

www.alkottob.com

الليلة مظلمة و أنت تجثو على ركبتيك و لا تدري
 لماذا. تغرق في تفكير عميق و لعلك لا تدري
 . تمشي من الردهة إلى الصالون.
 تحمق في رف كتب لم تفتح منها كتابا واحد قط.
 تتحسس حاشية
 إحساس جديد عليك. تذهب إلى غرفة النوم.
 فارغة. يسودها جو رهيب.
 بذهول.. تحشر يديك في جيب بنطالك ثم تخرجهما
 . هذه العتمة تلفك.
 المقصف صعقتك بشدة. ذهبت إلى أبعد من

- انظر إلى نفسك في المرآة و تأكد من أنك بعيد
 كل البعد عن أن تكون فتى أحلام أي غانية من
 غواني الليل اللواتي يبعن لحظاتهم لمن يدفع..
 تقف كتمثال تشعر بأنك لا تصلح لشيء .. تشعر
 يبدو .
 لك زجاجها أكثر شحوبا منك, غصان
 أشجار الشارع ويتبادر إلى ذهنك أنها عارية من
 .. تراك تشبهها.
 و تصطدم نظرتك بنظرتك كليلة فاترة خشنة .
 ها هي ملامحك تتدلى. و ها هو ألم لم تعهده يطل
 من عينيك. لم تتصور يوما أنك ستسمع خطابا كهذا
 . هل ما قالته لك حقيقة. فهل كنت
 أعمى و لم تلاحظ نفسك أم أن الابتسامات التي
 ظلت تحيط بك أعمت منك البصر و البصيرة؟.

لقد تركتك ترتعد من أعلاك إلى أدناك.

أهنت في عز سطوتك أم لأن ما قالته تلك الفتاة
عراك و كشف لك عن حقيقة كنت تتجاهلها..
دائما في فرض تفاهاتك على الآخرين إلا
عليها.. اعتبرت الجميع خدما لك و ظللت تفعل ما
شئت إلى أن جاءت هي. و كأن قدرها قادها إليك
و كأن قدرك رماها في طريقك لتحدث فيك رجة..
تتقدم مرة أخرى نحو المرأة الكبيرة و تنظر إلى
نفسك بغير قليل من الاحتقار. ثم تخيفك صورتك .
تهرع إلى النافذة. تطل على الشارع فترى سحبا

أينك أيها الرجل ! أين هيبتك و أنت تنتقل
بين نظرائك و موظفيك.. أين مجدك الذي بنيته من
التصفيقات و الأضواء و العناوين الكبيرة في
الجرائد ؟ أين الصمت الذي يسود و أنت تعطي
ابر و أين الضحكات التي تلي دعاباتك.
ياه !.. لماذا ترتجف يداك و لماذا تشعر
اللحظة فقط أن فمك يميل إلى الجانب الأيمن؟ ..
فجأة تكتشف أن وجهك حافل بالتجاعيد..
كل هذا من فعل فتاة هددتك بأن تفضح أمرك في
.. أتذكر ما قالته لك و أنت
تك و تداري غضبك؟ أتذكر نبرتها
وهي تخفض صوتها و تلقي إليك بالكلمة تلو أختها
في إيقاع بطيء و تفضي لك بمخاوفك من
الفضيحة خاصة إذا انتشرت في الخارج و منه ؟
أتذكر ضحكتها و هي تقول لك إن أمثالك لا يخيفهم
هذا البلد المدجن حتى النخاع ؟

أتذكر عندما نهضت من أمامك و همت

- إذا منعنتني من الذهاب الآن فأنت فعلا رجل ضيق الأفق
- قلت في نفسك ساعتها أن هذه المرأة لا يمكن أن .. لا شك أن ظهرها محمي ...
و أن حمايتها قوية ..

- في صالحك أن لا يصاب صديقي بمكروه و إلا فهبي نفسك لجزاء لم يخطر لك يوما على بال..
و ألفت بابتسامة أفسى من شتيمة..
يكن في عقلك ساعتها سوى قولها ينهبه نهبا..

كل ذلك و صديقك داني يحتفظ بصمت مريب..
.. فالأمر لم يكن يهمه من قريب أو من بعيد..

ذهبت. و شعرت بأنك ضليع في الغباء..
لم يساورك قط إحساس كهذا. تصرفك أمس كان غير تصرفك المعتاد.. من قبل لم يكن حديث من هذا النوع ليحرك شعرة واحدة فيك.. و لم يكن سلوك كهذا ليثنيك عن عزمك..

أهي بداية التحول؟ .. لكن شيئا مثل هذا لم يحدث

يوافق الآخرون .. .ثم خرجت تجر قدميك
جرا و تحني رأسك كلاعب مهزوم لا يجرؤ على رفع بصره نحو الجمهور ..

خرجت دون أن تعلم إلى أين أنت ذاهب ..
.. سائقك هو الذي بادر هذه المرة و جاء
بك إلى شقتك في شارع الحسن الثاني..
.. تى اللحظة لا تذكر هل ودعت داني أم
أنك انصرفت دون أن تلتفت إليه..
تحملق في السقف هذه المرة.. تبحث في جيبك عن
منديل فلا تجده.. تستسلم للحظة و تشعر بتعب
لذيذ..
ياه ! ..

.. تشعر بحلقك يجف دون أن تحاول الكلام..
تشعر بالرأس يتأرجح.. تحاول أن تخفي حالتك
.. تشعر بالرغبة في النقيؤ ..
.. و تعتريك رغبة
في الصراخ إلا أن لسعا كلسع البعوض ينتشر في
تري عينيها تشعان ذكاء و سخرية.. و تنهدل

www.alkottob.com

XVIII

تذكر كيف عرفت معاليه و يعتريك
شعور يشبه الخواء.. كنت مدعوا لمهرجان للفيلم.

..

أن حفل الافتتاح رسمي. و أن مسؤولا ساميا
سيترأسه..

و جاء معاليه ..

صحيح أن معاليه وزير لكن السينما لا تدخل في
خاتته و مع ذلك جاء,, لا بل مع ذلك سيترأس
افتتاح مهرجان فني..

أخذ الكلمة و اعتقدت أنه سيدخل في العموميات
و أنه سيتمنى النجاح للتظاهرة و ينتهي الأمر,,
أن الرجل في كلمته أهل نفسه للحكم على السينما.
و لاحظت أنه يمزج بين الإنتاج والكتابة وبين
السيناريو و الإخراج و يتلفظ بكلمة منتج بينما
مضمون حديثه يصب في اختصاص المخرج.
لاحظت أنه يعتقد أن الممثل مخرج.

و عندما أنهى قوله و أنهى اللقاء التقيت به في حفل
الشاي الذي نظم بالمناسبة.. ثمة رأيتة عن قرب
تبادلتما الحديث.. و ارتاح إليك..
صديقا..

و منذ ذلك اليوم و أنتما صديقان .. تعرفه مزاجيا..
قراقوشيا.. متعاليا.. مستبدا و تعرفه متواضعا حتى
كريما. عاطفيا لدرجة أن دمعته
قريبة جدا.

الرجل جواد رغم كونه يبادر إ
تتضارب حوله. هناك من يعتبره ماردا رجيمًا و
هناك من يرى فيه رحيمًا متخلقا..
دائمًا تقول له ..
- يجب أن تعيد النظر في سلوكك فعدد من يحبونك
قليل ..
و دائما يرد :

-
هكذا. . و أحبها هذه النز . .
أحيانا يردد ..
- لأفعل ما أشاء ولأدع الناس يقولون ما يشاءون..
أحيانا أخرى يقول :
- إن الإنسان بطبعه شرير. و أنا لست شريرا
.. أحيانا أكون بالغ الطيبة حتى مع من لا
يستحقون نعمة البقاء..
عندما لمته عن حركاته الفارغة من أي حس

-
إني أمارس ذلك على فصيلة من البشر لولا
الخوف لتحولت إلى ذئب كاسرة. إياك أن
تخطئ يا داني إنهم أنذل من النذالة.
طبعًا لم تتفق معه قط. لكنه يسليك. يرضي فيك
شئنا دفينًا. أحيانا تجد نفسك معجبا به لسبب بسيط
هو أنه يقوم بما لا تسمح لك تربيتك بالقيام به..
أمس رأيتته متخاذلا.. تصورت في البدء أنه
ضبط نفسه مع تلك الفتاة و كدت تعجب بقدرته
من أن يجيب. حاولت أن تستعرض ما قالته تلك

الفتاة لربما استطاعت دون أن تعلم أن تضع يدها
على مكنم الداء فيه.

كثير ما ضاحكته قائلا :

- لست أدري لم لا أستطيع أن أكبح رأبي فيك..
و أخشى أن يأتي يوم تجبرني فيه على قطع
شرايبي.. إذا فعلتها يوما فلا تحرق المدينة..
- كان يكتفي بإطلاق ضحكة مجلجلة.
و أمس لم يضحك.. . قد يكون أدرك أن في
هذا البلد أناسا يؤمنون بأنهم لم يخلقوا ليجروا
عربة معاليه.. قد يكون أدرك أن المرأة قي مقدمة
هؤلاء..
و أمس جاءت امرأة و كشفت له عن سوءته..
تقل له ما شئت لا ما شاءت الأقدار.. لم تصمت..
عندما رأيتها تبحث بعينيها عن صديقها و عندما
رأيتها تهرع إليه و هو مكوم أسفل جدار,
عليه و تسعى لإعادته إلى و عيه أعجبت بها

- لعل الخلاص سيأتي من المرأة..
أمس أمرك صديقك معالي الوزير أن تدعه
لوحده.. و أمر حراسه الغلاظ الشداد أن يفرنقوا

. تفتح التلفزيون. تصادف مسرحية لا
تعرف عنوانها و تحاول أن تشاهدها. تجدها تافهة
كالمعتاد. قول في نفسك.. تحملها يا
.. تتحملها و أنت تعي تماما أن من يتحركون
أمامك لم يمارسوا المسرح إلا لأنهم عجزوا عن
الاشتغال بأي عمل آخر, تماما كما يفعل صديقك

في مجال السياسة.. لأنك تؤمن إيماناً عميقاً بأن
صديقك ليس سياسياً إنه يسمي نفسه سياسياً من

..

المتبجح لا يجد مكاناً
إلا بين المتبجحين, تعجبك الصفة فتأتيك صفة
. تافه و التافه لا مكان له إلا وسط التافهين.
. و الدساس لا مكان له إلا وسط الدساسين..
هذا البلد الذي أحببت يا داني تعترف لنفسك بأنه
ساقط بين أيدي عصابات تكن لها كثيراً من البغض
قليلاً من التفهم .. تجد أعظمهم يمارسون الابتذال
و ينتهزون الفرص لإلقاء دروس في الأخلاق..
.. هل رأيت حجم خيبة أملك ؟
تطفئ جهاز التلفزيون و جالسا تغط في نوم عميق.

زميل إلى بيتيهما
 وحليم ودافيدوف إلى غرفتيهما بالفندق و أنت
 تتمهل مترددا على مدخل هذه الحانة الجديدة.
 تعجز عن قراءة اسمها في هذا الليل البهيم...
 تضع كفيك
 على عينيك، ثم تزيحهما فتري المرأة تحديق فيك
 ويموج على فمها المصبوغ مشروع ضحكة..
 تشجعك على الاقتراب منها.. فتري خديجة..
 تغض عينيك لبرهة، محاولا أن تبعد وجهها..
 أمامها تحمل القدح و تنتظر..
 سؤالك يظل بدون جواب..
 ميدان أليف مل الوداعة .. تحديق فيك ..
 - أنت مهموم .

هي بحدس الأنثى أنك
 لا ترغب في الكلام. تقضم ظفر إبهامها. تبالله
 بلسانها. في الخارج صقيع من نوع جديد .
 يعزلك عن العالم و مشروع أرق لم تعد نفسك له..
 تنتظر المرأة أن تصب القدح في جوفك
 ..و لا تدري كيف تتأرجح الكأس و
 تسقط عن حافة الفاصل الخشبي

لا يبدو على المرأة اندهاش.. تنظر إليك دون
 بل تنظر إليك بنوع من التعاطف.
 - لا شك أن حملك ثقيل.. أنت إما عاشق منبوذ أو
 مواطن مظلوم. وحدهما العشق العقيم و الظلم
 ينتجان هذا النوع من السلوك..

تبدو لك دون مساحيق. تراها جميلة. دافئة
وتستحق أن تفضي لها بأحزانك..
تبتعد منك إلى زبون آخر. تسقيه ثم تعود إليك..
تقترب منك و تلمح أنفاسها رقبته في تلك الليلة
: ..

-
..
تتمسك بصمتك رغم رغبتك في الإفشاء ..
تشجعك بنظرها على البوح ..

-
..
.. تملأ كأسا جديدا, و تأتي بقطعة
بحركة متعبة من يدك تطلب منها أن تبعد

! :
-
تنتظر أثر هذا الاعتراف على سحنتها ..
تنظر إليك من جديد. كل نظرة منها تختلف عن
سابقها..
- أين هي المشكلة ؟ من في هذا الكون ليس جباناً ؟
كل هؤلاء الرواد يحتمون هنا من
جنبهم.

يسري في قدميك ارتخاء.
دائرية تمسح الطاولة و القناني و السقف
المزخرف و واجهة الزجاج و المرأة و الكؤوس

تحقق في الكأس الثانية, و في تذكرة السعر.
النقود على الفاصل الخشبي.
يستقبلك ضوء المدينة الفاجر.
في شارع صغير مظلم.

في الطريق إلى بيتك تتوقف في ساحة فارغة
.. لا تدري لم يأتيك في هذا المكان

بالذات صوت دافيدوف من داخل السيارة :

- الآن أدركت أننا هواة.. نتصور أننا سنحقق
إنجازا بقبوعنا هنا أمام الفند . ما نصبو إليه
أكبر منا.. الرجل يجب أن يختطف اختطافا
والاختطاف عملية لا يمكن أن يقوم بها مثاليون
. إنها تتطلب محترفين يقومون بعملهم دون
تشنج.. نحن لن نفلح لا في التخطيط و لا في
التنفيذ.. إما أن نبحت عن محترفين و إما أن
نغامر ونهاجم الرجل أمام الملاء و ليكن ساعتها
ما يكون.

يعود إليك صوت حلیم ..

- لقد تعبنا الآن.. فلنذهب. و لنسترح..

غدا لنناقش الأمر في هدوء و دون انفعال..

- تحرك قدميك و ترحف ببطء شديد نحو بيتك.

شك أن خديجة و زينب تنتظران عودتك بوجل..

شك أنهما الآن دخلتا في تصور كل ..

ما معنى أن يخرج رجل من البيت مساء و لا يعود

في البيت كانت خديجة تنتظر عودتك.. تهمس
وهي تراك..

و تندس في الفراش و تطبق أجفانها ..

تتنهد بارتياح. هي. تتوجه نحو المرأة

وترى أثر ظلال أرق الليالي الماضية في عينيك

الضيقتين. تزم شفقتك..

منهارا. تراك مقبلا على مغامرة كنت تريد أن
تقودها فإذا بها تقودك.
أنت في بيتك و تشعر بأنك في منفى صقيعي.
والضباب يلفك.. تمد يدك إلى الأمام..
شيء تتكى عليه.

www.alkottob.com

أنت الآن في اليوم السابع من زيارتك
لخديجة. لن يكون هناك يوم ثامن. ستعودين إلى
بيتك. المدينة تتدثر بالضباب و تفقد الدفء..
قضيت معظم أوقاتك أنت و خديجة بين الجدران.
أشجار المدينة المتناثرة تشي بهبوب الريح
وبطبيعة متوترة. أحيانا تطمئنين و أحيانا تفقدين
سلمان يحتفظ بصمت تجدينه أحيانا
مريبا و أحيانا تردينه إلى طبيعته المقلّة من

ستخرج خديجة من أزمتها و يخامرك إحساس بأن
.. حتى دخول سلمان متأخرا إلى البيت
في الأيام الأولى من زيارتك اختفى..
كل شيء أصبح هادئا تقريبا..
تشعرين به يتفاعل داخل الأسرة الصغيرة.
الحديث عن معالي الوزير بدأ يتلاشى من جلساتك
مع صديقتك.. تلاحظين أن ظهوره شبه اليومي
في نشرات الأخبار قد فتر و أن الحديث عنه في
الراديو بدوره قد قل.
انطباع يزحف إليك بالتدريج و يقول لك لعل هذه
كأية اقتربت من نهايتها..
تقررين في يومك السابع أن تزوري السقيفة
لتودعي يزيد ..

رغم الضباب و رغم البرد كان هناك , رأيت
تائها في سكونه الشفاف.. قالت لك خديجة ..

- رأيت كم هو جميل !

ألوان ستائر المقهى الخضراء تكاد تنعكس على
.. لكنه يقف كعادته و يصافحكما..

عن البرد و الضباب.. و السحب و المطر
.. يرشقكما بنظرات تحثكما على الدخول

في موضوع الزيارة.. يوزع عليكم ابتسامة
, يرفع فنجان القهوة إلى شفتيه.. و يقول :

- أنا سأبدأ هذه المرة.. يبدو لي أن السيد عامر قد

..

تفهمان ..

يقراً ذلك في أعينكما ..

- ألم تلاحظا غيابه عن ساحة الأخبار و
التدشينات و الأحجار الأساسية !

.. برأسيكما أجبتما معا

هادئا ..

- إنه يمهل و لا يهمل.. و يبدو أن الكيل طفح..

من يعدون العدة للانتقام سيرتاحون الآن.

كنتما تطلبان المزيد من التوضيحات .. إلا أنه قال

- هذا كل ما عندي.. و ستكتشف الأيام القليلة الآتية

..

تتقرزين من الضباب الذي يرتفع من البحر و يلف
المدينة.. و من الصقيع الذي لم تتعوده أزقتها..

وتلهفين لمعرفة المزيد عن عامر..

تعودين إلى البيت مع خديجة و تجدان سلمان

.. على أهية الضحك من أجل

لا شيء تلاحظين انفتاحا غير معتاد لديه. إنه

يمزح.. و يروي نكتة. و تقولين لها عندما يخرج
هو إلى الفناء لغرض ما ..
- إنه يعرف شيئاً عن الرجل ..
تهمس هي
- نبوءة يزيد ..
تلقين نظرة على الشارع عبر نافذة الصالون
تلمحين غيمة بنفسجية.. يعتريك إحساس برفض أن
يعلن عن نفسه..
تمر الغيمة و تطل شمس خجولة.. تبتسم لك
أشعتها. تبتسمين للأشعة..
- أتبتسمين لشيء ما راج ببالك ؟
سؤال تطرحه عليك خديجة ..

..
تجاري صديقتك ابتسامتك.. تقتربين من النافذة
فيتساقط الشعاع الخجول على وجنتيك و شعر ..
تقتربين فيزحف على صدرك و قميصك..
ترين عبر النافذة المارة يختارون جهة الطريق
التي تسقط عليها الأشعة. يعود إليك انشراح
سلمان.. تخطر ببالك أنه الليلة سيستعيد إيقاعا
اختفى من حياته مع خديجة..
تقولين لخديجة
- الليلة سيعود إليك سلمان القديم ..
حكاية المصعد ..
تشرعين في لم أشياءك متأهبة للمغادرة..
خديجة.. تودعين سلمان. و تنزلان معا إلى
..
ترين الشارع حلبة رقص و المارة سعداء يتميلون
على نغمة جديدة..

و في بيتك هذه المرة تتمددين و تراقبين انهزام
الضوء و تكاثف العتمة و تشعرين بنسيم لم يخلق
من قبل يغمر غرفتك.. تندفع إلى أنفك روائح
بساتين التفاح التي تعودت على رؤيتها و على
شمها منذ أن جئت هذه المدينة إلا أن روائح الليلة
. و تشعرين بتعب لذيذ.

فجأة يشق العتمة وجه يزيد .. و يقول لك ..

- جئت من أجلك يا زينب .

يتفجر لحظتها شيء فيك و تنهضين و تشرعين في
. تدعين جسدك الرشيق يتمايل على نغمة
لا يسمعا أحد سواك. و في كل انثناءة يلاحقك
وجهه.. تلاحقك بسمته.. و تصابين بنوبة أقرب إلى
. فتتمددين من جديد باسمة..

تفتحين عينيك و تتسللين على رؤوس أصابع
قدميك إلى الخارج. جر الرمادي يحييك..
تمنحين وجهك لهواء الصبح و تلتفتين إلى فراشك.
تنظرين إليه بحنان جديد. و تذهبين إلى المزهرية
القرمزية، تعيددين ترتيب أزهارها.. ثم إلى جهاز
التسجيل تطلقين لحنا و تهيمين به.. .. يغمرك
دفعاء جميل..
و تنتهدين ..

لعل المرء يحدث له بعض مخبات الدهور ما لا
يخطر على بال و لا تدركه العقول،
يعمل لأخرته عمل لما يموت غدا..
يهتضم عرضه و يهتم قلبه و يأذن بالوهن..
لعله يجهل أنه في دار الآفات و الجوائح غير
لعله ينسى أن للنفوذ نزوة و للسلطان

..

.. و لنتابع الرواية.
أمن الرجل أن الحكمة التي تهوي من السماء إلى
القلوب قد أخطأته و أخطأته لأن في قلبه خصلة
.. الركون إلى الدنيا . وهو ركن

إلى الدنيا .

يقرأ ذلك في كتاب قديم و يهبط الدمع مدرارا
يهبط الدمع ..

تأتيه رسالة .. ترتعش يده اليسرى و هي
تتسلمها من مساعده. يرفع نحوها بصرا هو
كالبصر.. تفهم مراده و تفض الرسالة. تفردها
أمامه فيتابع سطورها..
يقرأ فيها حكاية داوود ..
ماله داوود؟

..

كان داوود يسيح في الجبال.
رجلا عظيم الخلقه..

بعد هذه المقدمة يقرأ عبارة كتبت بحروف بارزة
. و أنت لم تكن عظيم الخلقه..

و يتابع ..

الرجل العظيم الخلقه ملقى على ظهره و على
رأسه حجر كتب عليه ..

ألف عام وفتحت ألف مدينة و هزمت ألف جيش
بنات الملوك ثم صرت

.. التراب فراشي و الحجر وسادي

فمن رأني فلا تغرنه الدنيا كما غرتني..

في أسفل الرسالة عبارة كتبت بحروف بارزة

.. ما أن أدركها بصره حتى أخرج صوتا

فهمت مساعدته أنه يريد أن يغير المكان فدفعت

نظر إلى جهاز التلفزيون.. فأدركت أنه يريد أن
يشاهد.. رأى الأخبار و هو عنها غائب ..

تزغرد و الأيادي تصفق و مقص التشييد يقص
الشريط الملون.. وهو غائب ..

فأطلق زئيرا فأطفأت الخادمة جهاز التلفزيون

..

يع صامتة تعطيه ما يرغب

فيه. ترفع ما يرغب عنه. تدفع الكرسي المتحرك

حين يطلب ذلك. تدفعه عند ما يهز رأسه بطريقة

لا يدرك معناها أحد سواها. لا تتهاون في أداء

واجبها.

في آخر الخريف. كان قرب النافذة ينظر إلى

الشارع من خلف ستائر اختارها بنفسه قاتمة..

لغرفته تلك أن تطل على جدرانها بلون الضباب.

.. "ترى ماذا يدور بخلده الآن؟"
يحرك رأسه يسارا فتركض إليه و تسحب الكرسي
.. ينظر إلى المكتبة فتقربه منها.
يمد يسراه التي تتحرك بالكاد و يشير إبهامها إلى
. تضع الكتاب على ركبتيه.. تفتحه ..
ترى أنه لا يقرأ و إنما يحاول أن يشم رائحة

تنظر إليه ذاهلة، ها هي معرفتها تضيق عن
فهمه. هكذا تقضي يومها معه..
قالوا لها يوم تقدمت لخدمته ..
- أنت المسؤولة عنه.. حاولي بخبرتك و فطنتك
وقدراتك أن تفهميه.. لا نريد أن نعرف شيئا.
نلبيها. يكفي أن تطلبي.
قال لها أحدهم خمنت أنه قريب له :
- كان الله في عونك. كان صعب المراس و هو
. و هو على هذه الحال قد يصبح التعامل
معه مستحيلا.
و منذ ذلك اليوم و هي ترعاه..
لقد تحولت كل حروفه ألفا ممدودة قد تطول أو

الذين يأتون لزيارته يكتفون بتقبيل جبهته و توجيه
ابتسامة تعاطف و سؤال يرد عنه برفة رمش
ويذهبون.
عددهم يتناقص مع مرور الأيام..
لا تعرف ما حدث له. و كيف أصبح هكذا.
تعرف أن طبيبا اشتغلت معه طويلا عرض عليها
أن ترعاه بأكثر من ضعف الأجر الذي كانت

أحيانا يتوصل برسالة، ما إن يقرأها حتى يرميها
جانبا، و لم تكلف نفسها قراءة الرسالة. بحدسها
تعلم أنها رسالة تشف. و هي تعلم أن رجلا مثله لا
بد أن يكون له أعداء و تؤمن أن على من يرفض
معاداة الناس له أن يبتعد عن الأضواء

كانت تنتظر منه أن يطلب منها أن تقرأ له شيئا
فصوتها جميل و عذب و مريح و كم أحبه
, لكن الرجل لم يجعل قط من القراءة هما.
أو لعله لم يخرج بعد من التحسر الصامت وجوبا
على وضعه..
أي عندما يقبل وضعه و يسلم بالمكتوب..

- زاد همي يوماً و كادت نفسي أن تزهد و ضاقت
، فاقتربت من معاليه سابقاً

و قلت له :

- أنا كئيبة اليوم.. سادعك هنا للحظة و أخرج
لأروح عن نفسي ثم أعود إليك..
نظر إلي معاليه سابقاً بعين مكسورة و تمتم بألفه
الممدودة الاعتيادية و أدركت من ذبذباتها أنه
بدوره يرغب في الخروج معي للترويح عن

..

..

- فخرجت به في الشارع فإذا بي الأخط أساريه
تنتفح و قرأت في نظرتة تعرفه على الأمكنة..
أطلق ألفاً ممدودة مرحة هذه المرة..

مشروع إشارة للسير في شارع الحسن الثاني،
فقلت في نفسي لا شك أنه يحب هذا الشارع كثيراً.
سرنا في الشارع و هو يحاول أن يلتفت يمينا فلا
يستطيع و يحاول يسارا فينجح بالكاد في نصف

..

مررنا من أمام مقهى يدعى السقيفة..
شخص ينظر إليه نظرة لا تتفحصه بقدر ما
تسائله.. أثارني أكثر رد فعل معاليه .. فجأة
امتقع لونه و صدرت عنه ألف ممدودة تأمرني

..

..
أمام عمارة شاهقة زجاجية..
أتابع فانطلقت الألف الممدودة تأمرني بالتوقف.
وبحركة محدودة من يسراه أبلغني أنه يريد دخول
أبلغني أنه يريد دخول المصعد فأتجهت به نحوه..
سرت في مدخل العمارة همهمة.
تتوقف عليه برهة..

- اللي ما خرج من الدنيا ما خرج من عقايبها
و مرارا رأيت الأصابع تشير إليه
أكيد أنهم تذكروه ..
زحفت به نحو المصعد.. كان هناك رجل وامرأة..
بدا عليهما أنهما تعرفا عليه. لكنهما تجاهلاه.
تبدر منهما ابتسامة أو نظرة تعاطف..
صدرت عنه ألف ممدودة أخرى تطلب مني أن
.. و صدرت أخرى

تطلب المزيد ففعلت..
و أخرى تطلب المزيد ففعلت..
ألف ممدودة أخرى و أصدم المرأة بالكروسي
وجاءت هذه الألف

..
بدا على المرأة الاندهاش فالمصعد فسيح,
نزحف نحوها .. نزاحمها ..
أدرك هو أنني لن أستطيع أن
أدفع الكروسي أكثر من ذلك و رأيت يده اليسرى
تقوم بما تبقى لها من الجهد و تندفع نحو المرأة..

انتبهت المرأة إلى حركة معاليه سابقا فابتدأ ..
فانطلقت ألف ممدودة من معاليه سابقا تريدني أن
أخذ الوجهة التي أخذتها المرأة ..
لعله يعرفها ..

حرك الرجل الذي يرافقها رأسه بامتعاظ و أطلق
من أنفه ضحكة ساخرة ..
في هذه اللحظة توقف المصعد في الطابق الذي
ل فيه ..

لكن ألفا ممدودة طويلة تشبه العويل انطلقت
كان يريدني أن أوقف المصعد و أن أركض به
عدت بالمصعد إلى الطابق الذي نزلت به المرأة و
مرافقها و شرعت أدور به في دهاليز مؤسسة
مالية تشغل الطابق ..
المؤسسة يعرفونه .. أغلبهم كان يحدق فيه
و بعضهم كان يبتسم له ..
لم يكن يبدو عليه الاهتمام بهم, كان يريد أن أعثر

صممت أذني عن ألفه الممدودة و عدت به إلى
البيت .. أدخلته غرفته, و تركته يتابع صراخه.
معاليه سابقا غاضبا ..

قررت أ، و أن أتنازل عن الأجر
المضاعف و أعود إلى مرضاي الذين لم يكونوا
قط معاليهم سابقا..

.. و لم أكن صبورة كما كنت
، فويل الأجر الهزيل أهون بكثير من ويل
الأجر المضاعف و ألف معاليه سابقا الممدودة.
.. هنا ..

...

انتهى

www.alkottob.com